

[الحركة الإسلامية لطلبة المدارس الدينية في أفغانستان الفكر والمنطلقات من البداية إلى الإمارة]

إعداد الباحث:

[عبد الله مراد - باحث في برنامج الدكتوراة بجامعة إسطنبول صباح الدين زعيم]

الملخص:

تتميز الحركة الإسلامية لطلبة المدارس الدينية (طالبان) في أفغانستان بتنظيم قوي متماسك، حافظت على وحدته بالرغم من كل التحديات التي واجهتها خلال مسيرتها، فطالبان حركةٌ ثورية مجتمعية، تعارض بشدة النزعة القبلية، وأفرادها مقاتلون أشداء شجعان، ينطلقون في حركتهم من مبادئ الشريعة الإسلامية، ويسعون لتمكين علماء الأمة من استلام دفة حكم البلاد.

واليوم بعد أن دحرت هذه الحركة قوات التحالف الدولي بقيادة أمريكا، واستطاعت السيطرة على العاصمة كابول، وأعلنت عن إمارتها الإسلامية، عاد الغرب من جديد يقرع طبول حربه الإعلامية؛ ليوثق أتباعه وأزلامه للنهوض في وجه هذه الحركة، والقيام بعصيانٍ داخلي؛ كالحرب الداخلية المفتعلة إبان انسحاب الغزو السوفييتي. يتابع العالم الإسلامي اليوم تطورات المشهد الأفغاني، وهو في ريب من فهم طبيعة هذه الحركة، ولا سيما أن أغلب الناس يخلطون بين طالبان أفغانستان والقاعدة، ويعتقدون أن أفراد الحركة يتبنون العقيدة الوهابية.

لذلك كان لا بد من دراسة هذه الحركة الأفغانية؛ لفهم ملامح مشروعها الجهادي السيادي، منذ نشأتها الأولى إلى إعلانها الإمارة الإسلامية بعد دحر المحتل الأمريكي، وإخضاع الجغرافية الأفغانية لحكمها بعد عقدين من المعارك الضارية، والقتال المستمر.

الكلمات الدالة: طالبان، الإمارة الإسلامية، الجهاد الأفغاني، الملا عمر، طلبة المدارس، أفغانستان

المقدمة:

أفغانستان دولة تقع في قلب آسيا الوسطى، ويتّسم مجتمعها بالتعددية العرقية والدينية والثقافية، كما أن جغرافية هذه الدولة لها خصوصية جبلية قاسية، وأرضها مغلقة تماماً عن أي منفذ بحري. تحدها من جهة الشرق والجنوب باكستان، ومن الغرب إيران، ومن الشمال كلٌّ من تركمانستان وطاجكستان وأوزبكستان، وتحدها كذلك تركستان الشرقية المحتلة من الصين في أقصى الشمال الشرقي بحدود جبلية محدودة.

تتميز أفغانستان بالتعدد القبلي، والتنوع العرقي الذي يشكل منه البشتون أعلى نسبة تصل إلى 42% من عدد السكان، ويحكمون الدولة منذ قيامها سنة 1747م، كذلك يأتي الطاجيك في المرتبة الثانية مشكلين ما يقارب 27% من الأفغان، ويعيشون في الشمال الشرقي، أما الهازارا والأوزبك فيشكل كل واحدٍ منهما ما يقارب 9% من السكان. أما باقي العرقيات كالتركان والبلوش والعرب وغيرهم فنسبتهم قليلة بالنسبة لتعداد الأفغان؛ لذلك تنصدر اللغة البشتونية واللغة الفارسية الدارية قائمة اللغات المحكية، وتشكلان اللغتين الرسميتين للبلاد. كما أن 99% من هذا الشعب يدين بديانة الإسلام، تقدر نسبة أتباع مذهب أهل السنة والجماعة بـ 80%، أغلبهم أحناف المذهب،

ماتريدو العقيدة، في مقابل ما يقارب 20% يتبعون مذهب الشيعة الإمامية، ويرتبطون بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهم يرون في حركة طالبان تهديداً لهم، بسبب التعارض بينهما، إضافة إلى وجود أقليات من الإسماعيلية والهندوس واليهود.

تعتبر أفغانستان مثلث برمودا للإمبراطوريات التي لا تكف عن غزوها واحتلالها، وقد شهد بذلك رئيس الوزراء البريطاني هارولد ماكملان، فقال نصيحته الذهبية _بعد حرب بلاده الثانية في أفغانستان_ (القاعدة الأولى في السياسة: لا تغزو أفغانستان).

وفي أعقاب انسحاب السوفييت من أفغانستان سنة 1989م، شكّل المجاهدون من طلاب المدارس الشرعية نواة حركة طالبان الأفغانية، بتوجيه وترتيب من ملهم الحركة الملا محمد عمر سنة 1994م؛ لتتحول هذه المجموعة من حلقة دراسية، إلى حركة سنية جهادية سياسية، تقاوم بدايةً الفساد الداخلي الذي عمّ البلاد، ثم تتصدر لحكم البلاد، بعدها تعود لساحة القتال؛ لتقارع الاحتلال الأمريكي لما يقارب العقدين، والذي دحرته بعد مفاوضات الدوحة، لتنتقل مرةً ثانية من جبهات القتال إلى القصر الرئاسي، معلنةً سيطرتها من جديد على العاصمة كابول إبّان خروج آخر جندي من جنود التحالف الدولي.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تحدد مشكلة الدراسة في توضيح الفروق الجوهرية بين منطلقات طالبان العقيدة والحركية عند بدايتها، ورؤيتها اليوم بعد أن أصبحت المسيطرة على العاصمة كابول، وإزالة اللبس الذي يكتنف العلاقة التي تربط أقوى تنظيمين جهاديين على الساحة الأفغانية: (طالبان وتنظيم القاعدة)، ولا سيما فيما نراه من المفاصلة العلنية بين منطلقات القاعدة، وأصول ومعتقدات طالبان، والتي تطورت إلى اختلاف واضح في إدارة الجهاد الأفغاني.

من هنا أحاول من خلال دراستي الإجابة على التساؤل الآتي لهذه المشكلة البحثية: من أين جاءت حركة طالبان؟ وأين تكمن أوجه الشبه والاختلاف بين طالبان الماضي، وطالبان الحاضر؟

كما تطرح الدراسة مجموعة من الأسئلة الفرعية الأخرى، والتي تصب في الإجابة على هذا التساؤل الرئيس، وهي:

- 1- ما هي طبيعة العلاقة القديمة التي تربط حركة طالبان بباقي المجموعات المقاتلة؟
- 2- ما هي أهم التوجهات الإستراتيجية التي تحاول حركة طالبان تحقيقها؟
- 3- ما هي مصادر ومنطلقات الفكر الطالباني؟
- 4- هل يلتقي الفكر الطالباني مع فكر القاعدة؟

أهداف الدراسة:

أحاول من خلال هذه الدراسة تحقيق جملة من الأهداف، أهمها الكشف عن أوجه التشابه بين المنطلقات العقيدة للحركة وأصول المدرسة الديوبندية، والاختلاف في التوجهات الإستراتيجية لحركة طالبان وباقي المجموعات المقاتلة في أفغانستان، والفروق الأساسية بين تجربة طالبان الأولى والثانية في إدارة العاصمة كابول.

كذلك دراسة رؤية طالبان للحكم، والمنطلقات الفكرية للحركة، والأهداف الإستراتيجية التي ساهمت في نشأة حركة طالبان، وكذلك تسليط الضوء على مراحل صعود الحركة، وترؤسها للمشهد الجهادي في أفغانستان، وطبيعة

العلاقة بين حركة طالبان وتنظيم القاعدة. ودراسة التوجهات الدينية التي تسعى طالبان لفرضها على المجتمع الأفغاني، وصولاً إلى الكشف عن جوانب التشابه والاختلاف بين طالبان اليوم وطالبان الماضي.

أهمية الدراسة:

هذه الدراسة تستمد أهميتها من أمرين مهمين: أولهما: علمي، والثاني: عملي؛

فمن حيث الاعتبار العلمي، فإن هذه الدراسة تقدم وصفاً وتحليلاً علمياً لأهم حركة جهادية في العالم، ولا سيما أن هذه الحركة حكمت البلاد لمرتين، أزيحت عن الحكم في المرة الأولى، فيما يراهن العالم في المرة الثانية على إمكانية نجاحها في تحقيق أهدافها بقيادة دفة الحكم في أفغانستان، وانتشال البلاد مما هي فيه من فقر وبؤس. وكيف أن المجتمع الدولي، والجماعات الإسلامية باتت في قلق مما ستؤول إليه الأوضاع السياسية في البلاد، لذلك باتت تتعامل بحذر شديد مع هذه الحركة خوفاً من عقوبات النظام الدولي، ولا سيما أن الدراسات المتعلقة بحركة طالبان بشكل عام، تدور حول تسليط الضوء على سوداوية آليات تطبيق الشريعة في هذه البلاد، وتركز على صورة طالبان القبلية، مع إغفال هذه الدراسات جوانب الموضوعية والحيادية في دراسة حركة طالبان، والمقارنة بينها وبين المدرسة الديوبندية السنية من جهة، واختلافها مع المجموعات المقاتلة من جهة أخرى؛ لذلك تعد هذه الدراسة من الموضوعات الحديثة في ظل شح الدراسات العلمية التي تناولت هذه الموضوعات.

علاوة على ذلك، أحاول من خلال هذه الدراسة إمادة اللثام عن الوجه الخبيث للاحتلال الغربي الذي يعمل على تصدير أي حركة إسلامية على أنها مصدر من مصادر الإرهاب؛ ليخوف المسلمين قبل غيرهم من التعامل والتواصل مع أي حزب أو حركة أو جماعة تنطلق من منطلقات إسلامية في مصارعة العدوان والاحتلال الغربي، الذي رأيناه قد دمر البلاد، وأتعب العباد، في كل بلد غزاها.

أما فيما يتعلق بالاعتبار العملي، فالدراسة تبحث في أحد الموضوعات المهمة، والمتعلقة بحركة إسلامية تتصدر المشهد الإقليمي والدولي، ورسالة هذه الحركة باتت تُصدّر على أنها مصدر من مصادر التهديد الرئيسة لحرية الشعب الأفغاني، ولا سيما فيما يتعلق بقضايا إدارة الدولة، والدستور، وحقوق المرأة، وغيرها من القضايا التي تخص المجتمع الأفغاني، وبالتالي فإن البحث في ثنايا أفكار وأهداف هذه الحركة قد يسهم في توصيف طبيعة مكامن الضعف والقوة، والخطأ والصواب، والظلم والعدل، في أدبيات ومنطلقات هذه الحركة، في مقابل مواطن التوجس والخيفة من تمدد هذه الحركة، وإحكام قبضتها على كامل أفغانستان، مما يمهد للمعنيين من صانعي قرار أو غيرهم فهم هذه الحركة بشكل أفضل من خلال دراسة هذه الحركة منذ البداية حتى يومنا الحالي.

حدود الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من المحددات الآتية:

1- المحدد الموضوعي: ويتمثل باقتصار الدراسة على البحث في موضوع الحركة الإسلامية لطلبة المدارس الدينية في أفغانستان (حركة طالبان الأفغانية)، ودراسة أسباب وجودها وتوسعها، والمقارنة البحثية بينها وبين المجموعات القتالية، مع إبراز أوجه الشبه والاختلاف بين آليات الماضي والحاضر لإدارة حركة طالبان للحكم؛ لذلك لن أعرض في دراستي سرداً تاريخياً مفصلاً حول ماهية الحركة، بل سأقتصر على عرض المحطات التاريخية المهمة فقط، ومن خلال ذلك ستوضح لنا التوجهات الفكرية والإستراتيجية لحركة طالبان أفغانستان.

- 2- **المحدد المكاني:** ويتمثل بحدود دولة أفغانستان، حيث نشأت الحركة وترعرعت وحكمت.
- 3- **المحدد الزمني:** ويتمثل بالفترة الزمنية الممتدة من عام 1979م، والتي شهدت دخول قوات الاحتلال السوفيتي لأفغانستان، وظهور القوى الشعبية الإسلامية المناهضة لهذا الاحتلال، وحتى تاريخ إعداد هذه الدراسة في شهر كانون الأول من عام 2022م.

منهجية الدراسة:

تستند هذه الدراسة إلى استخدام عدة مناهج:

- 1- **المنهج المؤسسي:** والذي يمكن توظيفه في دراسة المقاومة الأفغانية ضد المحتل، وتحليل أفكار ومنطلقات وإستراتيجية حركة طالبان أفغانستان، تمهيداً لمقارنة الاختلافات الجوهرية في إدارة الحكم خلال فترة نضالها ضد السوفييت والأمريكان، والتركيز على منطلقاتها الفكرية؛ فدراسة أهداف الحركة، والبنية الفكرية، وكيفية توسيع الحاضنة المجتمعية، وعلاقتها بالمجموعات المقاتلة الأخرى، وحدود تأثيرها، كلها جوانب مهمة في المنهج المؤسسي؛ لتحقيق أهداف الدراسة.
- 2- **منهج تحليل المضمون:** وذلك من خلال دراسة بعض اللقاءات مع قياديي الحركة وكتاباتهم واللقاءات المسجلة لهم، من أجل تحليل الرؤى الفكرية والإستراتيجية لحركة طالبان أفغانستان، وتحديد أهدافها المستقبلية، والوسائل المتبعة لتنفيذ هذه الأهداف.
- 3- **المنهج المقارن:** وذلك من خلال إبراز أوجه الشبه والاختلاف بين ماضي وحاضر الحركة، والفروق بينها وبين باقي المجموعات المقاتلة، ولا سيما في مجال التوجهات الفكرية.

الفصل الأول: طالبان الملا عمر والبدايات

المطلب الأول: عصر كفاح السوفييت

أولاً: الغزو السوفييتي لأفغانستان سنة 1979م:

احتدم النزاع بين الشيوعيين والإسلاميين في عموم أفغانستان، ولا سيما بعد سيطرة الفكر الشيوعي على مفاصل الدولة، وبدء الدولة ببسط السلطة الشيوعية؛ لتحرف التوجه العام للشعب الأفغاني عن فطرته المنبثقة من قيم الدين الإسلامي الحنيف، في مقابل هذا التغلغل الشيوعي انتفض الشعب الأفغاني بثورة شعبية اجتاحت عموم البلاد، ففي 15 مارس (آذار) من عام 1979م اندلعت انتفاضة (هيرات) الدامية، في وجه السياسات والأساليب الشيوعية المخالفة لطبيعة الشعب الأفغاني، والمتناقضة مع قيمه ومبادئه الإسلامية. وكان للعلماء والشيوخ الدور الأبرز في تحريض الناس عبر مكبرات الصوت، داعين الناس للانتفاض ضد الشيوعية. وكان رد فعل حكومة كابول أن حركت الماكينة العسكرية باتجاه المدينة المنتفضة؛ لتقمع هذه الانتفاضة الشعبية بقوة الحديد والنار. وبالفعل خلال ساعاتٍ سيطرت على مدينة هيرات، بعد أن أزهرت أكثر من خمسة آلاف روح من أرواح المدنيين الأبرياء، ودمرت المدينة التاريخية الجميلة.

ولكن الحكومة الأفغانية الشيوعية لم تستطع إخماد نار الثورة باقتحام مدينة (هيرات)، بل كانت هذه المجزرة نبراس ثورة؛ لتصبح هذه المدينة أسطورةً ملهمة لكثير من المدن والبلدات الأفغانية، ولتتوسع بعدها دائرة الثورة، مما أدى لتخوف الاتحاد السوفييتي من إطاحة المتظاهرين بالحكم الشيوعي، فأعلنت موسكو رضاها عن هذه المجازر، وتدخلت عسكرياً لدعم الجيش الأفغاني، خوفاً من إسقاط المتظاهرين لحكومة الرئيس (حفيظ الله

أمين)، ولتضمن ألا ينقلب حفيظ الله على المعسكر الشرقي، ويتقارب مع المحور الغربي، كما فعل السادات في مصر حينها.

وقد أدى الغزو السوفييتي سنة 1979م لهجرة الكثير من الأفغان إلى باكستان، بحثاً عن الملاذ الآمن، وهرباً من آلة الحرب السوفييتية المعروفة بوحشيتها المدمرة، واتباعها في تقدمها العسكري لسياسة الأرض المحروقة.

وقد شكلت عوائل مدينة قندهار من النساء والأطفال أعلى نسبة من هؤلاء المهجرين الهاربين من البطش السوفييتي، وقد استقر جلهم في إقليم بلوشستان، وانخرط أغلبهم في المدارس الدينية الديوبندية، وانشغلوا بمتابعة دراسة العلوم الشرعية؛ ثم شكل هؤلاء الطلبة فيما بعد نواة حركة إسلامية جهادية إصلاحية، سيطلق عليها فيما بعد حركة (طالبان أفغانستان)، فيما بقي في أفغانستان الرجال الأشداء ممن يستطيع حمل السلاح في وجه الغزو السوفييتي، كالاملا محمد عمر وزملائه.

في هذه المرحلة برز الدور البريطاني والأمريكي في دعم الأفغان لمحاربة الغزو السوفييتي، كما دعمت كل من السعودية ومصر هذه المقاومة، فكانت الأولى تدعم بالمال والسلاح والرجال، والثانية بالسلاح والرجال، وقد "كشف عن هذا السادات قبل أسبوعين من مقتله"¹.

خلال الحرب السوفيتية برز في كلا الطرفين قادة لهذه المعارك، فمن طرف السوفييت تولى يوري أندروبوف رئيس الاتحاد السوفييتي قيادة العمليات العسكرية، وقد لقي حتفه بعد معاناة مع مرض الفشل الكلوي سنة 1984م، وجاء بعده تشيرننكو المتوفى سنة 1985م، ثم تولى غورباتشوف زمام القيادة؛ وما لبث أن أعلن انسحاب قواته العسكرية سنة 1989م تحت وقع المعارك التي دارت بين السوفييت وعدد من الجماعات المقاتلة الأفغانية، كان أبرزهم: القائدان الطاجيكيان برهان الدين رباني زعيم الجمعية الإسلامية، ومعه أحمد شاه مسعود، ضمن ما أطلق عليه فيما بعد (التحالف الشمالي)، ومن البشتون القائدان: قلب الدين حكمتيار، زعيم الحزب الإسلامي، وعبد رب الرسول سياف، رئيس الاتحاد الإسلامي الأفغاني، كما شارك عبد العلي مزارى زعيم حزب الوحدة الشيعي في هذه المعارك.

ومن خلال هذا الجدول يمكننا الوقوف على أهم هذه الجماعات الأفغانية التي قارعت الاحتلال السوفييتي، وخاضت معه العديد من المعارك، حتى أخرجته من البلاد:

أهم الأحزاب والجماعات التي قادت الجهاد ضد القوات السوفياتية			
الرقم	اسم الحزب	رئيس الحزب	ملاحظات
1	الجمعية الإسلامية	برهان الدين رباني	ظهرت عام 1973م، أبرز قادتها أحمد شاه مسعود
2	الحزب الإسلامي	قلب الدين حكمتيار	ظهر عام 1975م
3	الحزب الإسلامي	مولوي محمد يونس خالص	انشق سنة 1980م عن الحزب الإسلامي (حكمتيار) بعد الهجرة إلى باكستان
4	حركة الانقلاب الإسلامي	مولوي محمد نبي	تأسست سنة 1978م بعد انهيار التحالف بين الحزب الإسلامي والجمعية الإسلامية

¹ أحمد موفق زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2022، ص182

5	الاتحاد الإسلامي	عبد رب الرسول سيّاف	تشكل الائتلاف بين الأحزاب الجهادية سنة 1980م برئاسة سيّاف، وانهار بعد أقل من عامين ليُريثه سيّاف كمنظمة مستقلة سنة 1983م
6	جبهة الإنقاذ	صبغة المجددي	تأسست سنة 1978م في باكستان
7	الجبهة القومية	سيد أحمد جيلاني	تأسست في باكستان عام 1978م بعد هجرة جيلاني إلى باكستان
8	حزب الوحدة (الشيوعي)	عبد العلي مزاری	انضمت إليه ثمانية أحزاب شيوعية متواجدة في إيران سنة 1990م
9	الحركة الإسلامية	آية الله محسني	حزب شيوعي تأسس عام 1980م
10	جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة	مولوي الرحمن جميل	تأسست سنة 1983م كحركة سلفية

وبعد ظهور حركة طالبان أفغانستان بايع كثير من أتباع هذه الأحزاب الحركة، لتتغير موازين القوى على الأرض، ولا سيما مع كسر شوكة كلٍّ من قوات الحزب الإسلامي (حكمتيار)، وحزب الوحدة الشيوعي، ليبقى في الساحة الأفغانية ثلاث قوى رئيسة هي:

- 1- حكومة رباني مع حليفه سيّاف، ومقرها العاصمة كابول.
- 2- حركة طالبان بقيادة الملا محمد عمر، ومقرها الرئيس في قندهار.
- 3- القوات الأوزبكية بقيادة عبد الرشيد دوستم، ومقرها في مزار شريف.²

ثانياً: الانسحاب بعد معركة استمرت لسنوات:

أعلن الاتحاد السوفييتي انسحابه من الأراضي الأفغانية سنة 1989م، مخلفاً وراء ظهره سنواتٍ من القتل والتهجير والتدمير، تاركاً الشعب الأفغاني في مأزقٍ سياسي داخلي، سيتحول إلى صراعٍ يمتد لسنوات، ليدمر برعونته ما عجزت آلة الحرب السوفيتية عن تدميره، وهم بهذا كأنهم يُديرون حرباً بالوكالة؛ فقد استمر محمد نجيب الله برئاسة أفغانستان، مع رفضٍ تام من قبل الأحزاب المقاتلة للتعاون معه، لعمالته وولائه لموسكو، وقد تمكنت هذه الأحزاب من دخول كابول سنة 1992م، والإطاحة بحكم نجيب الله، وهنا دخلت أفغانستان في مرحلة جديدة تمثلت في حربٍ داخلية تنافسية بين هذه الأحزاب، فرفقاء الأُمس غدوا أعداء اليوم، ولا سيما بين حكمتيار، الذي دكت قواته كابول بالقذائف والصواريخ، وأحمد شاه مسعود الذي كان على اتصال مباشر مع المخابرات البريطانية، وقريباً من الاتحاد الأوروبي، وقد خطب في مجلسه، حتى إنَّ الحكومة الفرنسية خلّدت ذكره بتسمية واحدة من مناطق العاصمة باريس باسمه.

² ينظر: أحمد منصور، مستقبل أفغانستان وجذور الصراع بين المجاهدين الأفغان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م، ص56.

ثالثاً: الفتنة الداخلية وتدمير كابول:

رؤوس الخلاف في هذه المرحلة كل من: رباني ومسعود وحكمتيار، والذي نتج عنه عشرات الآلاف من القتلى، وقد "بدت كابول في تلك الأيام عاصمة حزينة مثقلة بالهموم والأحزان والمتاعب، فمن الجنوب ميليشيات دوستم، وأبعد من الجنوب تهديدات زعيم الحزب الإسلامي حكمتيار باجتياعها، ومن الغرب قوات حزب الوحدة الشيعي التي تخوض معارك ضد قوات سيف، وإلى الشمال ميليشيات أوزبكية تقبع في مطارها، بينما في تبة التلفزيون وخير خانة بالشمال الغربي ترى قوات أحمد شاه مسعود.

كل ما في العاصمة كان حزينا، يشكو لك سنوات احتلال، والآن يشكو لك سنوات حرب ضياع عبثية، حتى لم تعد كابول تلك العاصمة التي يسميها البشتون (باريس البشتون)، ولم تعد تلك التي يفد إليها الباكستانيون للتمتع بمناظرها وبموضتها، فقد غدت ساحة حروب، أو بالأصح ساحة حروب الآخرين على أرضها"³.

المطلب الثاني: الملا محمد عمر وتأسيس الحركة

أولاً: التأسيس والبدائية:

إنَّ السببَ الأهمَّ في ظهور حركة طالبان أفغانستان، هي تلك الأحوال المحزنة التي آلت إليها العاصمة كابول، بسبب الاقتتال المتواصل بين الميليشيات الأفغانية، والذي بدأ من نيسان 1992م، وتصاعد معه الانقسامات القبلية والعرقية والطائفية، وسيطر الفقر والحرمان على البلاد، وتفشى الفساد، وانتشرت الفوضى وعمت البلاد، واستشرت قضايا منافية للأخلاق في قندهار، مثل انتشار المخدرات، واستباحة الأعراض، وحالات معاشر الغلمان، كل هذه الأمور كانت أسباباً كافية لنهضة طلاب المدارس الشرعية في وجه هذه التصرفات، وتركهم مقاعد الدراسة للتصدي لهذه الأحوال؛ لأجل إعادة دفة السفينة للاتجاه الصحيح.

وقد جرّت هذه المعارك الدائرة بين الميليشيات الأفغانية الويل والشقاء على الشعب الأفغاني، ولا سيما أن بعض هذه الفصائل المتنازعة لم تكن تتمتع بأدنى درجات الإنسانية، فقد تفنّن أفراد حزب الوحدة الشيعي بقيادة عبد العلي مزارى بافتعال أشكالٍ للتعذيب تقشعر لسماعها الأبدان، "منها على سبيل المثال ما سُمي بـ(رقصة الموتى)، حيث كان أفراد الحزب يأخذون الأسرى، أو كل من يقع في أيديهم من أهل السنة فيقطعون رؤوسهم، ويغلقون الشرايين لمنع خروج الدم بسرعة، ليبقى الجسد أطول فترة ممكنة، فكانت الضحية تقفز كما تقفز الدجاجة عند قطع رأسها لفترة طويلة، وكانوا يتلذذون بذلك، ويستمتعون بممارسته.

كما كانوا يدقون المسامير في رؤوس الأسرى، ويقتلونهم بطريقة بشعة، وكانوا يحبسون الناس في الصناديق الحديدية الكبيرة، ثم يشعلون النار تحتها، ويجبرون الأسرى الآخرين على أكل لحوم هؤلاء، كل هذا كان يحدث داخل أكاديمية العلوم الاجتماعية في كابول، والتي كان عبد العلي مزارى يتخذها مقراً له. من جانبه قام مسعود بإبادة جماعية للهزارا الشيعية في غرب كابل"⁴. فكانت هذه الممارسات وغيرها سبباً من أسباب ظهور حركة طالبان الأفغانية الإصلاحية.

³ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص329.

⁴ مولوي حفيظ الله حقاني، طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين، معهد الدراسات السياسية، إسلام آباد، الطبعة الأولى، 1997م، ص71.

وقد أخبرنا مولانا سميع الحق (رئيس الجامعة الحقانية) عن ظروف نشأة الحركة، "وهو فعلياً أحد مرشديها قائلاً: لقد قدّم الشعب الأفغاني تضحياتٍ جسيمةً من أجل حرية أفغانستان، وظلّ يجاهد لـ 13 عاماً من أجل هذا التحرير، وبعد أن حرر بلده اقتتل مجاهدوه.

سعيًا لمنع الاقتتال ورصّ الصفوف، ولكن للأسف فشلنا، حتى خرجت حركة طالبان، الذين ضحوا من أجل حرية أفغانستان، ولو لم تقم طالبان بجهادها هذا لضاعت جهود جهاد 13 عاماً.⁵

في نفس الوقت كانت أمريكا تبحث عن بديلٍ بشتوني يحل محل حكمتيار؛ لأن الرجل كان يصلح لمرحلة الاحتلال السوفييتي، فيما انتهى دوره مع تغير قواعد اللعبة السياسية في البلاد، لذلك كان من الواضح بدايةً تشكل الحركة سخاءً الدعم لتقويتها ودعمها، وكان من أسباب زيادة أعداد المنتسبين للحركة إصدار المدارس الدينية الباكستانية قراراً بمنع قبول الطلبة الأفغان، لمدة خمس سنوات، وبهذا أبلغ المدرسون الطلبة بأن: "الجهاد فرض عين، بينما العلم فرض كفاية، وعليهم أن يتفرغوا للجهاد الآن سعياً لإقامة دولة إسلامية في أفغانستان، ثم العودة إلى مدارسهم مرة أخرى بعد تحقيق هدفهم".⁶

ذكر دانش بختياري ثلاثة عوامل سياسية ساهمت في إيجاد البيئة المناسبة لنشأة الحركة الطلابية (طالبان)، "ألا وهي:

- 1- ضعف أكثريّة قيادات المجاهدين من الناحية التنظيمية، ومن ناحية التشكيلات السياسية، ما أدّى إلى التعددية والانشقاقات، وظهور أحزاب ومجموعات جديدة، ممّا أطلق العنان للتصرفات الفردية، واتخاذ القرارات الارتجالية غير المدروسة.
- 2- انعدام التنسيق بين القيادات السياسية للمجاهدين، وعدم وجود برنامج سياسي محدد ومدوّن؛ لتداول السلطة بعد انتقال الحكم إلى المجاهدين، ممّا أدّى إلى إثارة أزمة كبيرة هزّت بنيان البلد من الأساس.
- 3- انعدام المرونة اللازمة عند بعض الأحزاب، وإصرارها الشديد على إقامة حكومة مثالية تشمل الكل، ولا تنحصر في فئة أو حزب معين ... ممّا عمّق الأزمة، وأدّى إلى ترجيح قيادات هذه الأحزاب مصالحها الشخصية والفئوية على المصلحة الوطنية العامة".⁷

أما عن الملا محمد عمر رحمه الله، فهو إنسان بسيط، ولد عام 1959م⁸ بقرية تشعاني التابعة لولاية قندهار، وقد تلقى تعليمه الأولي وسط حقول القمح والعنب، في مدرسة القرية البسيطة، وفي عام 1984م انتقل إلى سنجيسار جنوب غرب قندهار ليلتحق بإخوانه المدافعين عن أرضهم في مواجهة الغزو السوفييتي، تحت لواء الجمعية الإسلامية، بقيادة برهان الدين رباني، وشغل حينها منصب نائب أمير منطقته خلال فترة الجهاد الأفغاني.

أصيب الملا عمر خلال المعارك التي خاضها في مواجهة الغزو السوفييتي مرتين، وفقد إحدى عينيه، وبالرغم من إصابته لم يترك ساحة الجهاد حتى دُحر الاحتلال السوفييتي، وتحولت الساحة من الجهاد إلى الاقتتال الداخلي

⁵ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص 329.

⁶ منصور، مستقبل أفغانستان وجذور الصراع بين المجاهدين الأفغان، ص 53.

⁷ محمد سرفراز، حركة طالبان من النشوء إلى السقوط، دار الميزان، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م، ص 49.

⁸ ينظر: زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص 364.

بين الميليشيات الأفغانية، عندها عاد الملا عمر للتدريس في مدرسته الخاصة، بمدينة سنجيسار، واهباً وقته لتعليم أطفال منطقته.

ومن الأمور اللافتة خلال مسيرة الملا عمر انعدام أي صورة له، إلا صورةً واحدةً انتشرت من جديد، ولعل السبب في ذلك يعود لأخذه بفتوى (تحريم التصوير) في زمانه، وقد أنجاه تعصبه لهذه الفتوى من ملاحقة أجهزة الاستخبارات الأجنبية له من قبل أعدائه الأمريكان وغيرهم.

وبسبب رفضه للتصوير، وتعليق الصور الجدارية، امتنع عن لقاء صحفي في غرفةٍ عُلق فيها صورة مؤسس دولة باكستان، ولم تُحل هذه الإشكالية إلا مع تغطية هذه الصورة بقطعة قماش، وهو ما كان كافياً بنظر الملا عمر لدخوله الغرفة.

ثانياً: الظهور العسكري والسياسي للحركة:

انطلقت العمليات العسكرية لحركة طالبان أفغانستان من مدينة قندهار، الواقعة على الحدود الباكستانية جنوب غرب أفغانستان، حيث سيطر عليها الملا عمر بعد أن سلمها له القائد نقيب الله، وبذلك أصبحت قندهار عاصمة روحية لحركة طالبان، ومركزاً لإقامة الملا عمر، وتأتي أهمية قندهار من كونها العاصمة الأولى لملوك الأفغان، وقلب قبائل البشتون، كما أنها رئة الحكم الأفغاني بسبب موقعها القريب من باكستان، فيما بقيت كابول العاصمة السياسية لأفغانستان.

أما الانطلاقة السياسية للحركة فكانت "في نوفمبر (تشرين الثاني) 1994م، مع أول اتصال رسمي بين المخابرات العسكرية الباكستانية وحركة طالبان، فقد استقبل مديرها جاوید أشرف قاضي الملا محمد رباني نائب الملا محمد عمر في مبنى الجهاز"⁹، بعدها توجه الملا محمد رباني إلى كابول، وكانت وقتها ترزح تحت نيران الاقتتال الداخلي بين الفصائل، والتقى فيها بالرئيس الأفغاني برهان الدين رباني، وطلب منه دعم الحركة من أجل قتال قوات حكمتيار، التي كانت تحاصر كابول حينها.

هكذا بدأ الملا محمد عمر نشاطه السياسي والعسكري، بعد مبايعة طلبة المدارس الشرعية له أميراً عليهم في أغسطس (آب) 1994م، ومن هذه الحاضنة نبتت الشتلة الأولى لحركة طالبان، أما الهدف الحقيقي المبتغى، فكان وقف الحرب الأهلية، والسيطرة على كابول، وتوحيد الدولة تحت راية واحدة، بعد إخماد فتنة الاقتتال بين الفصائل الأفغانية، ونزع السلاح منها، مع الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.

ثالثاً: دخول طالبان لكابول سنة 1996م:

اتسقت لغة حركة طالبان عند انطلاقتها مع احتياجات الشارع القندهاري، الذي تبني قيامها ونشأتها، وهي لغة الإصلاح، ومحاربة الفساد المستشري في المنطقة آنذاك. وكان الملا عمر حينها يطوف على المدارس الشرعية، ويدعو طلابها للالتحاق بمشروعه، ويحرص في اختياره على النوعية.

بدأت الحركة سنة 1995م تتوسع خارج حدود قندهار؛ لينضم إليها رموز بارزة من أعلام الجهاد الأفغاني، كالقائد جلال الدين حقاني، الذي انضم إليها وباع زعيمها، ومع هذا التوسع، وفي فترة لم تتجاوز السنة والنصف تساقطت الولايات والمدن والقرى واحدة تلو الأخرى بأيدي حركة طالبان، لتُحكم الحركة قبضتها على محيط

⁹ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص371.

العاصمة كابول، التي بقيت عصيةً على الحركة بسبب التحالف الجديد بين (برهان الدين رباني وقلب الدين حكمتيار).

حينها دعا الملا محمد عمر 3500 عالم أفغاني للاجتماع بتاريخ 1996/6/3م للرد على اتفاق (رباني-حكمتيار)، ليقرر الحاضرون بعد ثلاثة أيام من المداولات انتخاب الملا عمر أميراً للإمارة الإسلامية الأفغانية، وغداً من وقتها يلقب بـ(الملا محمد عمر مجاهد أمير المؤمنين)، "وبعد انتخابه نقل إلى مكان يحتوي - كما يقال - عبادة النبي عليه الصلاة والسلام فألقوها على كتفيه تبركاً بها"¹⁰.

دخلت بعدها طالبان كابول نهايةً شهر أيلول سنة 1996م، وأعدمت نجيب الله آخر رئيس شيوعي لأفغانستان، الشخصية الدموية التي قادت لسنوات جهاز المخابرات الأفغاني سيء الصيت والسمعة. وعلى الفور أعلن الملا محمد عمر تشكيل لجنة مكونة من ستة أشخاص برئاسة الملا محمد رباني لقيادة الحكم الجديد. لتعترف باكستان بتاريخ 1997/5/25م بالحكومة الطالبانية، بعدها اعترفت كل من السعودية والإمارات وبنغلادش بهذه الحكومة. أما الاعتراف الأهم الذي لم تحصل عليه طالبان، فهو اعتراف هيئة الأمم المتحدة بحكم طالبان لأفغانستان؛ لأن حكومة رباني المنهزمة على الأرض حافظت على مقعدها في الأمم المتحدة، وانقسم العالم بين معترف بحكومة الحركة الوليدة، وبين من أثر الإبقاء على التواصل مع الحكومة القديمة، ولا سيما أن قوات أحمد شاه مسعود، والمليشيات الأوزبكية التي تأتمر بأوامر عبد الرشيد دوستم لم تستسلم بعد، وقد حاول دوستم عقد اتفاق تعاون مع الزعيم الجديد لحزب الوحدة الشيعي عبد الكريم خليلي، لمنع المد الطالباني باتجاه مدينة مزار الشريف في الشمال.

سعى الملا عمر من خلال نشاطه العسكري والسياسي إلى إيجاد نموذج أفغاني منبثق من إرادة الشعب دون احتكار للسلطة، فمشروعه عبارة عن: "إمارة إسلامية لا تسعى إلى احتكار السلطة والاستيلاء عليها، لأن مسؤولية حماية أفغانستان والدفاع عنها تقع على عاتق كل الأفغان، فلهم جميعاً حق المشاركة في الحكومة وفي صناعة القرار"¹¹.

ومن اللافت أنَّ معظم القيادات الطالبانية المؤسسة للحركة، والتي استلمت مناصب في فترة حكمها الأول لأفغانستان كانوا ممن فقد عضواً أو طرفاً من أطرافه خلال فترة الجهاد الأفغاني؛ لذلك سماها بعضهم بـ"(حركة المعاقين)، فالملا محمد عمر فقد إحدى عينيه في الجهاد، بينما فقد حاكم ولاية قندهار ملا حسن إحدى ساقيه، وأحد أصابعه خلال الفترة نفسها، أما وزير العدل والخارجية نور الدين الترابي والطالباني ملا محمد غوث، فقد فقد كل منهما إحدى عينيه، وهناك رئيس بلدية كابول عبد المجيد الذي فقد أيضاً عينه وساقه، والملا داد الله الذي شغل منصب المسؤول العسكري خلال غيبة طالبان بعد سقوطها فقد قدمه أيضاً"¹².

أما عن التشكيل التنظيمي لحركة طالبان، فتتكون "من جهتين أساسيتين: مراكز صنع القرار، ثم البنية الأساسية التنظيمية؛ وهي تضم تشكيلات بسيطة؛ ويمكن تقسيمها وفق الآتي:

¹⁰ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص 377

¹¹ علي جبلي، حركة طالبان أفغانستان مأزق الحرب وآفاق السلام، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، الطبعة الأولى، 2021م.

¹² زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص 368

- 1- العلماء والمشايخ: بالرغم من كون العلماء والمشايخ ليسوا ضمن التشكيل الرسمي لحركة طالبان؛ إلا أنَّ دورهم محوري في الحركة، وقد ظهر ذلك جلياً في التغلب على أزمة تعيين القيادة الجديدة بعد إعلان وفاة الملا محمد عمر.
- 2- مجلس الشورى القيادي: يتشكل مجلس الشورى القيادي حسب التصريحات الرسمية من ثمانية عشر عضواً، وينتشر أعضاؤه في جميع أنحاء باكستان، وقد يتواجد بعضهم داخل أفغانستان أيضاً.
- 3- الأمير: ويشغل هذا المنصب حالياً المولوي هبة الله آخوند زاده، الذي اختاره مجلس شورى الحركة أميراً لهم بتاريخ 25 مايو 2016م عقب اغتيال الملا أختر محمد منصور.
- 4- نواب الأمير.
- 5- اللجان العليا: النشطة منها في الحركة 12 لجنة، وكل منها بمنزلة وزارة في حركة طالبان.
- 6- اللجان المحلية على مستوى الولايات والمديريات: خاصة في الولايات والمديريات التي يتواجدون فيها بقوة، ويرأس اللجان المذكورة محافظو الولايات ومسؤولو المديريات حسب الترتيب.
- 7- القادة الميدانيون والمقاتلون¹³.

رابعاً: تحالف الميليشيات لمحاربة طالبان:

بعد أن سيطرت حركة طالبان على كابول بدا واضحاً لكل أن الحكومة الجديدة بقيادة الملا محمد رباني رئيس المجلس الانتقالي تستبعد وتعارض مشاركة أي من قادة الجهاد الأفغاني - الذين خاضوا غمار الفتنة الداخلية - في الحكومة الجديدة، وقد أعلنها صراحةً الملا رباني عندما سأله الدكتور زيدان عن نيته في إشراك قادة المجاهدين في المجلس الانتقالي الجديد، ليجابوه قائلاً: "لقد دمروا البلاد بعد الانسحاب السوفياتي ونهبوا ثرواتها، تماماً كما فعل الغزاة السوفييت للأسف، لقد تواصلت مع سيف ومسعود وأبلغتهم بكل وضوح أن المجلس الانتقالي ينبغي أن يخلو من أصحاب العهد البائد".¹⁴

وبهذا بدأت تظهر تحالفات أفغانية جديدة؛ لإسقاط حركة طالبان أفغانستان، ومن أبرز هذه التحالفات تحالف (رباني ومسعود) أصحاب الشعبية عند الطاجيك، وقد تحركوا لخلق تمرد شعبي ضد الحركة، والذي عُرف بـ(شمالي) قرب كابول، كذلك ظهر ائتلاف (الدفاع عن أفغانستان) المنعقد بين دوستم وخليلي. أيضاً كان كل من سياف من جهة - والذي كان أسطورة لدى الشعوب العربية، مع افتقاره للشعبية الأفغانية - وحكمتيار من جهة أخرى، والذي له مكانة عند البشتون، من ضمن هؤلاء الذين شكوا التحدي الجديد لحركة طالبان بعد سيطرتهم على كابول.

لم تتمكن هذه التحالفات الهشة من الوقوف في وجه تسونامي طالباني، الذي اكتسب امتداداً مجتمعياً من خلال دعوته الإصلاحية، فقد تمكنت طالبان بدايةً من ضرب تحالف الشمال، وإخضاع مزار الشريف لسيطرتها في أغسطس (آب) 1998م، كما تمكنت الحركة من حصار قوات مسعود في جيب صغير شمال أفغانستان.

¹³ ينظر: محمود عبد الواحد، تصدع حركة طالبان، خلفيات وتداعيات، الجزيرة، 28/02/2016م، تاريخ الاطلاع: 24/11/2022م،

<https://studies.aljazeera.net/en/node/4003#a2>

¹⁴ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص381

المطلب الثالث: طالبان والسنوات العجاف

أولاً: القاعدة ومعضلة تسليم بن لادن:

تدفق الآلاف من الشباب العربي لمساندة إخوانهم في أفغانستان؛ لقتال المحتل السوفييتي، وفي مطلع سنة 1993م، أي بعد انسحاب القوات السوفييتية، بدأت الضغوط الدولية لإخراج الأجانب من معسكرات التدريب، وقد كان أغلبهم يتواجد في باكستان، ويطلق عليهم (الأفغان العرب). وقد كان إخراج هؤلاء المقاتلين من صالح أحمد شاه مسعود؛ لأن عدداً من هؤلاء يقاتلون بجانب خصمه قلب الدين حكمتيار.

وكان للمجاهدين العرب في أفغانستان جبهتان: الأولى بقيادة الشيخ عبد الله عزام، الزعيم الروحي للعرب الأفغان، والذي دعم في البداية الزعيم الأفغاني عبد رب الرسول سياف، وقد مثل سياف الجهاد الأفغاني في الثمانينات، وكان يلقب برئيس المجاهدين الأفغان. فيما استطاع في وقت لاحق التواصل مع أسامة بن لادن لتنسيق العمل ضمن مكتب الخدمات، أما الثانية فقد تشكلت من تحالف الجماعات الجهادية المصرية، التي تكونت من المعتقلين السابقين في سجون النظام المصري، ممن تمكن من التسلل إلى أفغانستان، عبر الأراضي الباكستانية، ليؤسسوا فيما بعد النواة الأولى للقاعدة، تحت أنظار الدكتور أيمن الظواهري، وسيد إمام الشريف.

وقد نقلت هذه الجماعة خلافاتها مع الإخوان المسلمين لأرض المعركة الجديدة، لتنتقل المعركة من معركة فكرية سياسية، إلى معركة قتالية، تستعمل فيها القاعدة قوتها العسكرية؛ لفرض آرائها وتطلعاتها، فكانت هذه الجبهة جبهة مخاصمة وعداء لعزام، وقد استطاعت جذب أسامة بن لادن ليكون في صفوفهم. والخصام بين الجبهتين ينطلق من منطلقين: منطلق الاتجاه الاستراتيجي للأفغان العرب، ومنطلق الخلاف الفكري، فعزام وجماعته يتبنون أدبيات الجهاد المحلي ضد المحتل الغازي، فالجهاد عندهم مرتبط بأمرين: حدود الدولة التي يسعى لتحريرها، وطرد المحتل الغازي، مع الابتعاد عن تصدير الجهاد خارج حدود الدولة، فيما رسخت القاعدة منذ نشأتها الأولى فكرة (العدو المشترك البعيد)، وبذلك لبست القاعدة رداءً أكبر من حجمها، وهي المحاصرة في منطقة محدودة بأفغانستان، فلم تكن أفغانستان هي أرض المعركة فقط بالنسبة لهم، ولا تنتهي المعركة عندهم إلا بتحرير بلاد المسلمين جمعاء، وإعادة الخلافة الإسلامية من جديد.

أما عن أسامة بن لادن، فقد استقل عن جماعة عزام سنة 1987م، وآثر السفر إلى السودان بعد تحرير كابول، وذلك امتناعاً عن الخوض في معارك المجاهدين التي اندلعت فيما بينهم إبان خروج المحتل السوفييتي، ولكنه اضطر فيما بعد للعودة لأفغانستان بعد أن طلبت أمريكا من السودان إخراجه من أراضيها، واستقر بعد عودته في مدينة جلال آباد، وقد كانت حينها تخضع لحكم تحالف (رباني-حكمتيار)، وبعد أيام من وصوله سقطت جلال آباد بأيدي حركة طالبان أفغانستان.

وقد كان موقف الملا محمد عمر واضحاً حول قضية (المجاهدين العرب) ففي واحدٍ من اللقاءات التي جمعت الملا مع مسؤولين باكستانيين، طلبوا منه أن يغلق ملف (المجاهدين العرب) لتفادي الضغوط الدولية، فتفاجأ المسؤولون من جواب الملا، إذ رد عليهم قائلاً: "نحن نقدر لكم تعاونكم، ونذكر حجم الضغوط التي تتعرضون لها، فأتروننا نعالج الموضوع بأنفسنا، فمسألة المجاهدين العرب الذين قاتلوا إلى جانبنا أيام الغزو السوفييتي، مسألة شرعية، ونتعامل فيها مع الله، ولا نستطيع المساومة عليها"¹⁵.

¹⁵ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص368.

لقد كان التحالف حينها بين طالبان والقاعدة، تحالفاً عسكرياً فقط؛ إذ كانت المنطلقات الفكرية والعقدية متغايرة، وقد كانت القاعدة حينها سخيّة بتقديم العنصر البشري النوعي لعمليات طالبان أفغانستان القتالية، ولا سيما في الجبهات الأشد سخونة، وفي العمليات العسكرية النوعية.

ولكن طالبان أفغانستان تحملت عواقب فكر القاعدة الأرعن، ولا سيما مع إعلان بن لادن تأسيس الجبهة الإسلامية لمقاتلة اليهود والصليبيين، وتصريحات القاعدة العدائية ضد السعودية، واستهداف القوات الأمريكية في الصومال، وتبني تفجيرات نيروبي ودار السلام. ومع تفاقم هذه العمليات العدائية غير المدروسة، تضاعف الضغط (الباكستاني _ السعودي) على طالبان أفغانستان لإخراج القاعدة من أفغانستان، والتخلي عن حمايتها، ولكن الحركة رفضت الطلب الأمريكي، فزادت من عزلتها الدولية. وبهذا بدأت القاعدة تتوسع على حساب حركة طالبان، متخذةً من أفغانستان مركزاً لها.

ازداد ضغط السعودية على الحركة لتسليم بن لادن، وإغلاق ملف القاعدة، ولهذا الغرض أوفدت السعودية الأمير تركي؛ لمقابلة الملا عمر بوساطة باكستانية؛ لمفاوضة طالبان أفغانستان على تسليم بن لادن، فما كان من الملا عمر إلا أن رفض تسليم بن لادن، لأن تسليمه مخالفٌ للتقاليد القبلية الأفغانية في التعامل مع الضيف، واقترح عليهم أن تشكل محكمة محلية من علماء الأمة في السعودية وباكستان وأفغانستان لمحاكمته إن كان مخطئاً، ولكن الرد السعودي كان هذه المرة صارماً؛ إذ قطعت السعودية عقب هذا اللقاء علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة طالبان أفغانستان، والتي سبق أن اعترفت بها، ثم تبعها الإمارات فقطعت علاقاتها معهم، لتبقى باكستان وسيطاً وحيداً؛ للتواصل والتفاوض مع الحركة.

حاولت الحكومة السعودية منذ بداية ظهور القاعدة القضاء عليها، واعتقال زعيمها أسامة بن لادن، وضرب تنظيمه في العمق لأن الجهاد القاعدي، المنطلق من فكرة الجهاد خارج حدود القطر، انقسم لمعسكرين: معسكر ابن لادن الذي جعل بلاد الشام ممراً لقواته؛ للوصول إلى أرض الحجاز، وقد حددها هدفاً جديداً لعملياته العسكرية بعد اعتراضه العلني على دخول القوات الأمريكية للسعودية إبان غزو الكويت، وتمركز قواتها في أرض الحجاز، بينما ظهر تيار آخر ترأسه الزرقاوي، والذي ظهر كردة فعل لدخول أمريكا للعراق، وقد جعل من أراضي بلاد الشام والعراق مركزاً جديداً لعملياته العسكرية خارج أفغانستان، ومن هنا كان اهتمام السعودية منقطع النظر في ملف تسليم طالبان لأسامة بن لادن؛ لإنهاء التهديد القاعدي للسعودية بسبب سياستها التي تدور في الفلك الأمريكي، لا سيما ما يخص منطقة الشرق الأوسط.

ثانياً: سقوط كابول:

مع الأسف كما اختطف أمراء الحرب ثمرة الجهاد الأفغاني، وحولوه من نصر إخراج المحتل إلى حربٍ دمرت كابول، كذلك اختطف بن لادن وقاعدته نضال الحركة الطلابية الأفغانية حديثة الولادة، وأدخلهم في دوامة حربٍ مع التحالف الدولي امتدت لعقدين.

غدت حركة طالبان أفغانستان حينها أسيرة تنظيم القاعدة في كل تحركاتها، وأشغلها الدفاع عن القاعدة، وحماية قادتها عن تأسيس الحكومة الفتية حديثة الولادة، فقد تبنت الحركة موقف احتضان تنظيم القاعدة، وحماية زعيمه ابن لادن المطلوب عالمياً؛ لتوضع أسماء قادة حركة طالبان ضمن قوائم المطلوبين للإدارة الأمريكية، هؤلاء القادة الذين أقنعهم الملا عمر بترك حلق التعليم؛ لإنقاذ مستقبل أفغانستان، تحولوا بسبب رعونة القاعدة لإرهابيين. وبهذا استطاع تنظيم راديكالي اختطاف دولة، وجرها لمستنقع جديد.

نعم لقد أقحمت القاعدة الأفغان في حرب جديدة ستمتد لسنوات من الحرب والقصف والتشريد والتدمير. والسبب في كل هذا تبني الطرفين (طالبان - القاعدة) لمبدأ عدم المرونة السياسية، فلا القاعدة تخلت عن عالمية المواجهة، ولا طالبان وضعت حداً لتنظيم القاعدة الذي كلفها الكثير على مدار سنوات عِجاف.

بدأت القاعدة في هذه الفترة كالطفل المشاكس الذي يناكف الكبار ليبدأ معهم جولات المصارعة، ويحتمي بأخيه الكبير عندما يُهجم عليه، وهذه الحقيقة ظهرت للعيان مع سيطرة فكرة جرّ أمريكا إلى أفغانستان لمحاربتها وإهانتها، مثلما أهين السوفييت من قبل في أفغانستان، ولكن عندما دخلت جحافل التحالف الدولي، وبدأت معركتها، تُركت طالبان في واجهة المواجهة. وقد صرّح بهذا أبو حفص المصري المسؤول العسكري للقاعدة في حينها قائلاً: "نحن قمنا باستفزاز أمريكا بضرب سفارتها، ولكن لم تُستفز كما أردنا جلب قواتها إلى أفغانستان، ثم قمنا بضربها في المدمرة الأمريكية كول، ولكن لم تُستفز أيضاً، والآن نحن نعد لضربة كبيرة سترغمها على المجيء إلى أفغانستان؛ لتبدأ معركتنا من جديد كما فعلنا أيام السوفييت"¹⁶.

وبالفعل استطاعت القاعدة التسلّل إلى دائرة القرار في الحركة، وإقناعهم بضرورة هدم الأصنام الموجودة في مدينة باميان، وهو طلب فهمه الملا عمر بفطرته، وبحسب ظاهر القضية على أنه عملٌ صالح يتقرب به إلى الله، بينما كان الأمر في حقيقته من ضمن المخططات المرسومة من قبل القاعدة لاستفزاز الغرب. وفي العام 2001 استفاق العالم على خبر تفخيخ تماثيل بوذا¹⁷ التي تجسد حياته من الميلاد حتى سن الرشد، والموجودة على سفوح جبال باميان مهد البوذية في العالم، وقد تحركت الوساطات وقتها لنأي الملا عمر عن فعلته، وكان الشيخ يوسف القرضاوي رحمه الله من رموز العالم الإسلامي الذين تحركوا لإقناع طالبان بالتراجع عن فعلتها، كما وتحركت الصين وسريلانكا واليابان دبلوماسياً، وعرضت اليابان بدلاً مالياً ضخماً من أجل وقف عملية التدمير، ونقل التماثيل لخارج أفغانستان، وما كان من الملا محمد عمر إلا أن رد على هذه الدعوات بقوله: (أنا حفيد محطم الأصنام، ولست حفيد بائع الأصنام) في إشارة إلى النبيين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

حسمت حركة طالبان أمرها وهدمت الأصنام، ثم نحرت في اليوم الثاني أبقاراً احتفالاً وابتهاجاً بهذا الحدث، مع أن هذا الأمر كان من أكبر الأخطاء التي اعترفت بها الحركة فيما بعد. وقد كان ممن عارض هذا الأمر علماء محسوبون على الحركة، مثل مولانا سميع الحق زعيم مدير الجامعة الحقانية.

هكذا استطاعت القاعدة التغلغل أكثر فأكثر في الكيان الأفغاني، لتقحم طالبان أفغانستان في مشاكل متتالية، وتستفز الغرب أكثر فأكثر من خلال تفجير الحادي عشر من أيلول، حيث استهدفت القاعدة أمريكا في عقر دارها، لتحقيق هدفها في إغاضة الإدارة الأمريكية، لتجرها إلى أفغانستان لتذللها بحسب فكرها. هنا خرج ابن لادن داعياً العالم الإسلامي للاصطفاف في فسطاطه (فسطاط المؤمنين)، في مقابل (فسطاط الكافرين)، فكان الرد من رئيس الولايات المتحدة جورج بوش أن أعلن عن حربه ضد ما سماه (الإرهاب)، وأعلن للعالم أنهم أمام خيارين، إما أن تكونوا معنا أو ضدنا.

¹⁶ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص 397

¹⁷ ينظر: عبد السلام ضعيف، حياتي مع طالبان، ترجمة: بياتريس طعمة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2017، ص 233.

ثالثاً: التحالف الدولي بقيادة أميركا:

في السابع من أكتوبر (تشرين الأول) 2001م شنّ التحالف الدولي بقيادة أميركا، والمكون من ثمانية وثلاثين دولة هجوماً جويّاً على المدن الأفغانية الآمنة، لتعلن أميركا بدء العملية العسكرية، لإبعاد حركة طالبان أفغانستان عن السلطة، والقضاء على الإمارة الإسلامية، بذريعة حربها ضد تنظيم القاعدة.

على الفور أبدت إيران عبر وسيطها قاسم سليماني استعدادها؛ للتعاون الاستخباراتي لملء الفراغ الذي نتج عن إقصاء باكستان، لتضمن إيران حليفاً مستقبلياً لمشروع الهلال الشيوعي في الشرق الأوسط. وبهذا كافأت أميركا إيران بتمثيل الامتداد الإيراني الشيوعي رسمياً في الحكومة الجديدة.

أقصت أميركا البشتون عن الحكم، وقللت نفوذهم لكونهم بنظرها امتداداً لباكستان، واعتمدت على الأقليات، ولا سيّما الطاجيك، وذلك من خلال فتح أبواب كابول أمام قوات التحالف الشمالي، ليعلن سنة 2002م عن تشكيل كيان سياسي جديد برئاسة كرازي، بينما شغل كل من: أحمد ولي مسعود شقيق القائد أحمد شاه مسعود، وعبد الكريم خليلي زعيم حزب الوحدة الشيوعي منصب نائب الرئيس.

هذا على الصعيد السياسي للبلاد، أما على الصعيد العسكري، فقد دشنت الولايات المتحدة الأمريكية حملتها العسكرية بمجزرة في قرية كراكري بولاية أوروغجان، وقد نقلت وكالة الصحافة الفرنسية أحداث هذه المجزرة عن طريق شهود عيانٍ قالوا في شهادتهم: "هاجمت القوات الأمريكية حفل زواج كان في البلدة، بدأ الهجوم بالدخول أولاً على القسم الذي كان مخصصاً للنساء، فقتلوهن كالحيوانات، ثم هاجموا البيوت وربطوا الرجال من أيديهم وبدؤوا بإطلاق النار بشكل متوحش، دون أن يسألونا شيئاً، كانت مجزرة!! ثم يضيف الشاهد العيان أن معظم من مات لاحقاً كان بسبب عدم إسعافه، حيث نزع حتى الموت، بينما كان الجنود يقومون بتصوير امرأة عارية تماماً، وهو ما أذهل الناس"¹⁸. ولعلّ التحالف نفذ هذه المجزرة لينتقم من الأفغان بعد الهزيمة المخزية، والفشل الذريع في أول معركة برية له ضد مقاتلي حركة طالبان أفغانستان في جبال شاهي كوت.

مع تصاعد الأحداث أثرت طالبان أفغانستان التزام الصمت، والابتعاد عن الظهور الإعلامي، فيما كان تنظيم القاعدة يتحرك عسكرياً وإعلامياً، ليُصدّر نفسه على أنه من يقارع الغزو الأمريكي، معطياً التحالف مبرراً أمام العالم للممارسات الإنسانية المرتكبة من قبل عناصره بحق المدنيين العزل في قرى وأرياف أفغانستان.

استطاعت قوات التحالف الدولي بتاريخ مايو (أيار) 2011م توجيه ضربة موجعة لتنظيم القاعدة، وذلك من خلال استهداف عناصر المارينز لمنزل أسامة بن لادن في أبت آباد، الواقع بالقرب من كلية (كاكول) الباكستانية، وتمكنوا بحسب زعمهم من تحييد ابن لادن وابنه ومساعدته. وقد خفف مقتلته من الضغوط الدولية على الحركة، لأن سبب الحرب التي شنتها أميركا قد انتهى وتلاشى، وهو ما سيساعد أكثر لتقدم مفاوضات الدوحة للوصول إلى اتفاقٍ يقضي بانسحاب قوات التحالف الدولي من أفغانستان.

رابعاً: الضربات الموجعة لأميركا في أفغانستان:

اشتدت المقاومة الأفغانية ضد القوات الأمريكية بسبب ارتفاع أعداد الضحايا من المدنيين جراء الغارات والعمليات العسكرية الأمريكية، وقد عادت إلى الساحة حركتان جهاديتان بعد أن رتبنا صفوفهما:

¹⁸ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص421

أولاهما: جماعة قلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي الأفغاني، والذي أعلن الجهاد المشروع ضد القوات الأمريكية والبريطانية، في بيان أصدره بتاريخ مايو (أيار) 2002م.

ثانيهما: حركة طالبان أفغانستان، التي أعادت ترتيب صفوفها، مع إعلان التركيبة الجديدة للحركة بتاريخ 2003/11/12م، والذي يتألف من أربع لجان لتنظيم المعارك ضد الغزو الأمريكي وإدارتها، وهذه اللجان كانت كالآتي:

"اللجنة الأولى: سياسية بقيادة الملا عبد الجليل، الذي كان آخر منصب له في حكومة طالبان نائباً لوزير الخارجية.

واللجنة الثانية: عسكرية برئاسة عبيد الله، الذي كان آخر وزير دفاع للحركة قبل سقوطها.

أما اللجنة الثالثة: وهي اللجنة الثقافية والإعلامية فكانت برئاسة قدرة الله جمال، الذي كان وزيراً للإعلام في حكومة طالبان.

أما اللجنة الرابعة والأخيرة: فكانت اللجنة الاقتصادية والمالية، ويرأسها ملا معتصم آغا جان، الذي كان آخر وزير للمالية في حكومة طالبان الأفغانية.

وكل هذه التعديلات قد جرت بأوامر مباشرة من الملا محمد عمر¹⁹.

شكلت هذه الفصائل الجهادية الجسد الدفاعي في وجه الغزو الأمريكي، إضافةً لتنظيم القاعدة، الذي شارك بالعديد من المعارك والعمليات العسكرية، وقد استعان التحالف الدولي بالقوات النظامية الأفغانية، وميليشيات الأحزاب الأفغانية الشيعية المدعومة من إيران، التي تسعى للانتقام التاريخي من أفغانستان، ومن طالبان تحديداً، ولا سيما ما كان من اتفاقٍ بعد اجتماع قاسم سليمان قائد فيلق القدس مع مسؤولين أمريكيين في جنيف، واستعداده لتقديم كل ما لديه من معلومات عن حركة طالبان، مما جعل إيران ضمن الأهداف المشروعة للمقاومة الأفغانية.

الفصل الثاني: طالبان ما بعد الملا عمر والتمكين للإمارة

المطلب الأول: حكم كابول للمرة الثانية

أولاً: اتفاقية التسوية وانسحاب التحالف:

الفارق كبير بين طالبان التسعينات_ التي حكمت كابول إبّان الحرب الأهلية، وأُزيحت عن سدة الحكم مع دخول قوات التحالف_ وبين طالبان اليوم، التي وصلت للحكم بعد مفاوضات الدوحة، التي عُهد لها تبني تأمين حاضنة مفاوضات طرفها الحكومة الأمريكية، وممثلو حركة طالبان أفغانستان، مع تحييد شبه كامل لتمثيل الحكومة الأفغانية الحاكمة بالوكالة تحت سلطة التحالف الدولي.

¹⁹ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص426

وقد برز الفارق اليوم من خلال اختلاف كلٍّ من السلوك السياسي والعسكري للحركة بقيادة مجلسها الذي اكتسب خبرةً في التعامل السياسي، وفرض الوجود العسكري، من خلال معارك دامت ما يقارب العشرين سنة ضد التحالف الدولي، ومن قبله كفاح أغلب أفراد وقيادات حركة طالبان ضد الغزو السوفييتي.

مرت الحركة خلال مسيرتها بالعديد من التحديات التي أجبرتها على تغيير سياستها، ولعلّ أهم تحدٍّ واجهته - وهي في مرحلة التفاوض - إعلان المخابرات الأفغانية وفاة مؤسس الحركة الملا محمد عمر في مايو (أيار) 2015م متأثراً بمرض السل الذي أنهك جسده الحبيس في غرفة داخل بيت ريفي لا يتعرض للشمس، كان هذا البيت في ولاية زابل لغزاً حير الاستخبارات الباكستانية والعالمية، فلم يأتٍ لخاطر أحد أن يكون الملا عمر داخل أفغانستان. وقد تسترت الحركة على خبر وفاة الملا عمر لمدة عامين ونصف تقريباً، ليستلم الملا أختر منصور زعامة الحركة، بعد أن أعلنت الحركة بشكل رسمي وفاة الملا محمد عمر.

وقد تواصل الزعيم الجديد للحركة مع الصين وروسيا وإيران؛ ليرسم سياسةً جديدةً للحركة داخلياً وخارجياً.

ولعلّ هذه القنوات الجديدة غير المرضي عنها من قبل الجارة الباكستانية، والمخابرات الأمريكية كانت السبب في استهدافه بطائرة مسيرة عند عودته من زيارته لإيران لتعلن الحركة بتاريخ 22 مايو (أيار) 2016م وفاة الملا أختر منصور، وتعين الحركة المولوي هبة الله آخوند زاده خلفاً له؛ ليكمل مفاوضات الدوحة الممتدة لسنوات، ويتوجه باتفاق الدوحة، لتبدأ الحركة مرحلة جديدة في كفاحها السياسي، مع انسحاب قوات التحالف الدولي، وترك الساحة فارغة أمام تحرك قوات حركة طالبان أفغانستان باتجاه العاصمة كابول.

تنبثق أهمية المولوي هبة الله من كونه عالماً فقيهاً في المذهب الحنفي، نال مرتبة (المولوي) وهي أعلى الدرجات العلمية في المدارس الشرعية الأفغانية، وتتلّمذ على يديه كبار المسؤولين في حركة طالبان أفغانستان، كما أنه يملك خبرة عسكرية اكتسبها بدايةً من خلال قتاله في جبهات قندهار ضد السوفييت، وخبرة عملية كونه عمل في المحاكم العسكرية قبل سقوط نظام طالبان سنة 2001م. ثم تولى رئاسة محاكم حركة طالبان أفغانستان (قاضي القضاة)، وعُين نائباً للملا أختر محمد منصور، ثم اختاره مجلس الشورى أميراً لهم بعد مقتل الملا منصور.

حسم اتفاق الدوحة الحرب لصالح حركة طالبان الأفغانية بقيادة المولوي هبة الله آخوند زاده، مع عزل شبه رسمي للحكومة الأفغانية، وقد اشترطت الحركة انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان، مقابل أن تتعهد بعدم التعرض للمصالح الأمريكية.

ثانياً: نقاط القوة والضعف عند طالبان أفغانستان:

خلال سنوات نضال حركة طالبان ظهرت نقاط القوة التي تتمتع بها الحركة بشكل جليّ، كما أن الحركة وقعت في نقاط ضعفٍ حاولت علاجها في حكمها الثاني لكابول، ومن نقاط القوة لديها:

- 1- **الحاضنة الأفغانية للحركة:** من اليوم الأول لظهور حركة طالبان أفغانستان لم تبدو هذه الحركة كجسم غريب عن التركيبة المجتمعية الأفغانية، بل على العكس من ذلك نجد أن طالبان أفغانستان تماهت مع المرجعية القبلية، والمذهبية الحنفية للمجتمع الأفغاني، فقادة الحركة يعتبرون من رموز هذا المجتمع، وهم أفرادٌ من هذه المرجعيات، فهم من الشعب الأفغاني، وليسوا غرباء وافدين

مفروضين عليهم، فطالبان أفغانية المنطلقات والفكر والأعراف، تبنت فكرة الإمارة، ولم ترفع راية الخلافة.

2- **السيطرة الحقيقية على الجغرافيا:** سيطرت طالبان أفغانستان على ما يقرب من نصف الجغرافيا الأفغانية، وهذا ما منحها قوة في التفاوض، وقد وضعت شرط خروج الأمريكان باكورة شروط لبداية التفاوض، ورفضت إيقاف الحرب حتى تضمن خروج القوات الأجنبية (قوات التحالف الدولي).

3- **الجغرافيا المساندة:** استفادت حركة طالبان من وعورة الطبيعة الأفغانية، فتحصنت بجبال تورا بورا وغرديز، والمناطق الحدودية مع باكستان؛ إذ جعلت هذه النقاط حصوناً تتمركز فيها، لتنطلق منها في ضرب قوات التحالف، والعودة للتحصن بها.

4- **العلاقة القوية مع باكستان:** استطاعت طالبان التقارب من الجارة الحدودية لها، ولا سيما من خلال موقفها المؤكد على أن طالبان جماعة أفغانية لا يهمها إلا سيادة التراب الأفغاني، ولا تعترف بطالبان باكستان التي شكلت خطراً على أمن باكستان.

5- **تعزيز العلاقات الإقليمية والدولية:** أتاح افتتاح المكتب السياسي للحركة في قطر فرصة لإعادة بناء علاقات إقليمية ودولية تخدم مصالح طالبان أفغانستان، فتواصلت مع روسيا؛ عدو الأمس، كما أنها فتحت قنوات للتواصل مع إيران وتركيا.

أما عن نقاط الضعف، فإن الحركة بسبب حداثة نشأتها، وتجربتها الجديدة في الحكم، وقعت في أخطاء عديدة خلال حكمها الأول لكابل، مما أسهم حينها في وسم هذه الحركة بالضعف، ولكنها استطاعت من خلال تجاربها تطوير أدائها، وتلافي الأخطاء القديمة، ومن هذه النقاط:

1- **البعد عن التطبيق العملي لإدارة الدولة:** لم تفلح الحركة في حل مشكلات المجتمع عند حكمها الأول لكابل، ولعل ذلك يعود إلى افتقار الحركة للخبرة الميدانية في إدارة شؤون المجتمع، لأنهم يمتلكون خبرات قتالية فقط. فلم يخططوا حينها لبناء الدولة، إضافة إلى ضعف الوعي السياسي عندهم، بينما ظهرت الحركة اليوم في صورة جديدة مختلفة عن التجربة الأولى، لتعمل من خلال الحكومة الجديدة لوضع خطة تغطي جانب الخدمات والصحة والتعليم، وغيرها من جوانب الحياة.

2- **ضعف الخطاب الإعلامي:** ضعف الخطاب الإعلامي أبقى طالبان أفغانستان حركة ضبابية، بسبب ذلك لم يفهم أغلبنا أهدافها ونواياها؛ ففي حكمها الأول لكابل خلط الناس بينها وبين القاعدة، وساد شعور عند الناس أنهم جسد واحد. مع أنهما متغايران مختلفان من حيث البنية والمنطلقات. أما طالبان اليوم فقد استفادت من تجربتها السابقة بعد عودتها لسدة الحكم من جديد، فتوجهت بداية للإعلام المحلي والدولي، لتوضح للعالم رسالتها وأهدافها ومنهجها، وتبين لهم أنها حركة منبثقة من إرادة المجتمع المسلم.

3- **التصدعات والانشقاقات:** طالبان أفغانستان كمثلاتها من التنظيمات والأحزاب والحركات الإسلامية لم تسلم من تعدد الوجهات، واختراق أجهزة الاستخبارات لجسدها حديث الولادة. ولعل وفاة الملا محمد عمر، وإخفاء وفاته كان من أهم أسباب هذا التصدع، فيما يحاول المولوي هبة الله بحكمته احتواء الخلاف القديم، واستيعاب جميع قيادات الحركة؛ بحيث إنه عين الملا محمد يعقوب نجل الملا عمر رئيساً للجهاز العسكري؛ ليرضي من طالب بتعيينه أميراً للحركة خلفاً لوالده. والواقع أن طالبان الأفغانية تحاول اليوم تجاوز نقاط الضعف التي اعترفت بها، من خلال الاستفادة من الأخطاء التي وقعت بها سابقاً، كما أنها تسعى للعمل بشكل جاد لإعادة إعمار ما خربته سنوات الحرب والاقتتال، وإعادة تدوير عجلة الاقتصاد الأفغاني المثقلة بالفساد والديون.

المطلب الثاني: تحدي بناء الأمة الأفغانية من جديد

في طريق البناء الجديد للدولة ومؤسساتها، وتنظيم شؤون المجتمع ومتطلباته، ثمة تحديات عديدة، أهمها موقف طالبان اليوم من الفصائل الجهادية القديمة، ومدى مرونتها لاستيعاب المخالف للحركة من أبناء الدولة الواحدة، من مختلف المشارب السياسية، والانتماءات العرقية، وموقفهم من تنظيم القاعدة المباع للحركة في يومٍ من أيام الجهاد الأفغاني، فأفغانستان اليوم دولة غنية بمواردها الطبيعية، فقيرةً ببنيتها التحتية، تفتقر لعمود فقري يسمى بـ (ركائز الدولة المعاصرة).

أولاً: قضية المرأة وتعليمها وعملها:

بينت حركة طالبان أفغانستان موقفها من تعلّم النساء وتعليمهن من خلال ما نصّ عليه كتاب الإمارة الإسلامية ونظامها في الفصل المتعلق بهذا الأمر، وقد بينوا موقفهم من جواز تعلّم المرأة للعلوم الشرعية والكونية، ولكنهم وقفوا عند (كيف نعلّم النساء؟).

والإشكالية الشرعية وفق منطلقات طالبان تتعلق بأمريين:

1- أنّ المرأة يجب أن تعلمها امرأة، وأنّ الرجل الأجنبي لا يجوز له أن يعلم المرأة مادامت عنه أجنبية، ومالم يكن بينهما حجاب.

2- أما بالنسبة لخروج المرأة من بيتها للتعليم أو لحاجة غيرها، فقد بينت الحركة أنه يجب عليها مراعاة الأدب الشرعي في اللباس عند خروجها، وبحسب منطلقاتهم الفقهية فإن جسد المرأة كلّ عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها.

وقد اشترطوا للباس المرأة شروطاً: الأول: استيعاب جميع البدن إلا ما أباح كشفه الشرع: (الوجه، والكفين، والقدمين). والثاني: ألا يكون لباسها في نفسه زينة. والثالث: أن يكون ثوبها صفيقاً لا يشقّ. والرابع: أن يكون ثوبها واسعاً غير ضيق فيصف شيئاً من جسمها. والخامس: ألا يكون ثوبها معطراً مطيباً. والسادس: ألا تتشبه بالرجال في لباسها. والسابع: ألا يشبه لباس الكافرات. والثامن: ألا يكون لباسها لباس شهرة.

والمرأة بحسب فكر الحركة تتعلم العلوم الدينية كافّة من دون تمييز، أما بالنسبة للعلوم الدنيوية فيجب عليها تعلم ما يُناسب أنوثتها كصناعة الخياطة وعلم الطب، أمّا ما لا يُناسب النساء كالكيمياء والهندسة ونحوهما فلا يحتاج إلى خروجهن لها، أما التعليم المختلط فلا شك في تحريمه، وقد أفق بذلك علماء الحركة²⁰.

إذا عدنا بالتاريخ لفترة حكم طالبان الأول لمدينة كابول، يمكننا فهم موقف حركة طالبان من مسألة تعليم الفتيات، وعمل المرأة من خلال سؤال وجه لكل من: الملا عبد الجليل نائب وزير الخارجية، وعبد الحي مطمئن المتحدث الرسمي باسم أمير المؤمنين، ومسؤول الإعلام في قندهار، وعبد المعين أحد مستشاري قيادة الحركة، والسؤال كان كالآتي: "ما تفسير قرار حرمان الفتيات من التعليم، والنساء من العمل؟

الجواب: بالنسبة للعمل، فلا مفر من الاعتراف بأن العمل للرجال غير متاح في ظروفنا الراهنة، فما بالكم إذا أضفنا إليهم النساء؟ ثم إنّ نظامنا وعلماءنا ضد اختلاط الجنسين، ولا نستطيع أن نخصص للنساء أماكن يعملن فيها، ومسألة الاختلاط هي المشكلة التي أعاقت تعليم البنات في بلادنا، فنحن لسنا ضد تعليمهن، ولكن مواردنا

²⁰ ينظر: عبد الحكيم الحقاني، الإمارة الإسلامية ونظامها، مكتبة دار العلوم الشرعية، الطبعة الأولى، 2022م، ص248.

عاجزةً عن توفير مدارسٍ خاصةٍ بهن، ولا أحد يريد أن يعيننا على ذلك، وقد ناقش السفير البريطاني في إسلام آباد هذا الموضوع مع سفيرنا لدى باكستان، فقال له أخونا عبد السلام ضعيف (السفير): إن دراسة الملف بيّنت أننا بحاجة إلى 200 مليون دولار؛ لبناء مدارس خاصة للبنات، وإن حكومة طالبان بمقدورها أن توفر مائة مليون دولار. ثم سأله عما إذا كان بمقدور بريطانيا أو المجموعة الأوربية أن تدبر المبلغ المتبقي، فاستمع الرجل وذهب ولم يعد، وحين ناقشنا الموضوع مع غربيين آخرين، فإن بعضهم اعترض على إلزامنا البنات بارتداء الحجاب في المدارس، وأحجم عن مساعدتنا بسبب ذلك، فقلنا لهم: لماذا تؤيدون إذن الدول والهيئات التي تلزم الفتيات بخلع الحجاب، كما هو الحال في تركيا وفرنسا؟

وقد فتحنا معاهد للتمريض، وساعدتنا منظمة الصحة العالمية على توفير دروس في الطب للفتيات، ولدينا الآن 1200 فتاة يدرسن الطب، وفي قندهار وحدها 450 فتاة يواصلن تلك الدراسة²¹.

ثانياً: هشاشة الاقتصاد الأفغاني:

يعاني الاقتصاد الأفغاني منذ عقود من تداعيات الغزو السوفييتي، ثم الحرب الداخلية، ثم الغزو الأمريكي، ناهيك عن الفساد الداخلي المرتبط بالحكومات الأفغانية المتعاقبة، فالاحتلال وغياب الأمن أثرا بشكل مباشر على السوق الأفغاني الداخلي والخارجي، كذلك افتقار أفغانستان للبنية التحتية زاد من سوء الأوضاع الاقتصادية.

نتيجة لهذه العوامل يعتمد الاقتصاد الأفغاني على الأنشطة التقليدية منخفضة التكاليف كالزراعة، والتدفقات الخارجية، والأنشطة غير الشرعية، لذلك بحسب الاستبيانات يزرع أكثر من نصف الشعب الأفغاني تحت خط الفقر، مع اقتصاد محلي يأتي ضمن أفقر عشر اقتصادات في العالم.

ومع عودة سيطرة حركة طالبان على الحكم قد تحجم البلدان المانحة عن تقديم مخصصات المساعدات الدولية، مما يوجب على حكومة طالبان الإسراع في مد جسور العلاقات مع الدول التي يمكنها أن تكون بديلاً عن هذه المساعدات. أما عن التجارة غير المشروعة (زراعة المخدرات)، والتي توفر دخلاً للكثير من الأفغان، فستعمل الحركة على الحد منها، وذلك بعد أن أعلنت الحركة صراحةً أن أفغانستان لن تكون بلداً لزراعة الأفيون بعد الآن، وتعهدت بأن تخفض زراعة الأفيون إلى الصفر.

وقد عملت حركة طالبان جاهدة منذ استلامها سدة الحكم على استقطاب رؤوس الأموال الخارجية، للاستثمار في الدولة البكر الغنية بالثروات الباطنية كالمعادن المختلفة، ولا سيما المعادن النادرة كالليثيوم، وقد كانت تركيا من ضمن هذه الجهات، كذلك سعت الكثير من مؤسسات العمل الخيري التركية للتوجه إلى البلد المنكوب لمد يد المساعدة لإخوانهم في أفغانستان، وكان في مقدمة هذه الجهات جمعية IDDEF (اتحاد الجمعيات التي تقدر البشرية)، والتي تمثل جماعة الشيخ محمود أفندي رحمه الله (وقف إسماعيل آغا).

ثالثاً: الإمارة الإسلامية:

حركة طالبان تنطلق من أربعة رمزيات مهمة ألا وهي: الصبغة الأفغانية الخالصة، وسعيها لوحدة الأراضي الأفغانية واستقلالها، واحترام وتقدير الأعراف الأفغانية، مع نبذ الصراعات الطائفية. فطالبان غدت حركة ذات

²¹ فهمي هويدي، طالبان جند الله في المعركة الغلط!، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولى 2001، ص154.

صبغة أفغانية إسلامية خالصة، ولفهمها جيداً يجب على الباحث الضلوع بالطبيعة الأفغانية، والتركيبية العرقية لهذا المجتمع، فكما أننا نسمع اليوم بمصطلح (الإسلام التركي، والإسلام الفارسي)، كذلك الأمر مع هذه الحركة.

فالإمارة الإسلامية لدى حركة طالبان أفغانستان يقابل "شكل الدولة الوطنية المعاصرة بحدودها الجغرافية، لكنها تختلف في الشكل الهوياتي، والمضمون الأيديولوجي، والتراتبية الإدارية المنحدرة من الدولاب التراثي القديم، ويقدمها مؤسسوها على أنها تقوم بالأساس على النص القرآني (إنّ الأمر كله لله) آل عمران 154.

سماتها الرئيسية كما وصفتها ومارستها حركة طالبان هي: (تجلى السيادة من خلال تطبيق الشريعة) حيث يتم اختيار القائد من جانب مجلس شوري إسلامي مختار، وتخضع جميع فروع الحكومة لسلطة الأمير.

يوجد على رأس الهيكل التنظيمي لطالبان مجلس الشوري، أو مجلس القيادة، ويعد هذا المجلس القيادة المركزية للحركة، ويناط بهذا المجلس إدارة الشؤون السياسية والعسكرية للإمارة²².

اعتمدت طالبان في تحقيق هدفها (الإمارة الإسلامية) على شبكة حقاني، والتي أسسها جلال الدين حقاني، الذي سبق أن حصل بعد سيطرة طالبان على أفغانستان في 1996م على منصب وزير في نظام طالبان. وقد كانت الشبكة المفاوض الرسمي في طاولة المفاوضات لإخراج التحالف الدولي من أفغانستان، كما أن الحركة أوكلت إليها تأمين كابول. "ويمكن استعراض أبرز تلك الشواهد عبر ما يلي:

- 1- مشاركة الشبكة في مشاورات تشكيل الحكومة.
- 2- الاعتماد على الشبكة للتفاوض مع النظام السابق: يُعرف عن مقاتلي شبكة حقاني قدرتهم الكبيرة على عقد صفقات مربحة. وفي ضوء ذلك، تعتمد طالبان على الشبكة في مفاوضاتها مع رموز النظام السابق بعد سيطرة الحركة على أفغانستان. وعلى سبيل المثال، أجرى أنس جلال الدين حقاني، وهو الشقيق الأصغر لزعيم الشبكة الحالي، محادثات مؤخراً مع الرئيس الأسبق حامد كرزي، ونائب الرئيس السابق عبد الله عبد الله بعد سقوط كابول في يد طالبان.
- 3- مساهمة الشبكة في جهود تأمين العاصمة كابول: سلمت حركة طالبان ملف أمن العاصمة الأفغانية كابول لكبار أعضاء شبكة حقاني.
- 4- العمل كرابط رئيس بين طالبان والقاعدة: تتمتع شبكة حقاني بعلاقات تاريخية وثيقة مع تنظيم القاعدة، وبدأت هذه العلاقات منذ تأسيس تنظيم القاعدة في أواخر الثمانينيات.
- 5- دعم جهود طالبان لتهدة مخاوف الأقليات: تتبنى شبكة حقاني خطاباً إيجابياً في الوقت الحالي تجاه الأقليات الأفغانية، وهو أمر يدعم جهود حركة طالبان في هذا الصدد. ويتضح ذلك من خلال تصريحات القيادي في الشبكة خليل الرحمن حقاني، أمام تجمع لشيوخ القبائل وممثلين عن الأقلية الشيعية من جميع أنحاء أفغانستان، التي قال خلالها: إنه (في ظل حكم طالبان، سيحظى الجميع بحياة سلمية، وإن الحركة تتشاور مع الجميع من أجل تشكيل الحكومة الإسلامية). وأضاف: (نجري مشاورات مع كل المجموعات العرقية حتى يتم دمج الجميع في الحكومة)²³.

²² مصطفى زهران، سوسيولوجيا حركة طالبان الأفغانية المتشددة وتشكلاتها الفكرية، مركز الدراسات العربية الأوراسية، 2021م، ص19

²³ أحمد عدلي، الهيمنة بالوكالة: لماذا تعتمد طالبان على شبكة "حقاني" في ترسيخ حكمها بأفغانستان؟ InterRegional for Strategic Analysis - إنترريجونا للتحليلات، مقال: تاريخ النشر: 26 أغسطس، 2021

الفصل الثالث: المنطلقات الفكرية والعقدية لطالبان

تتميز حركة طالبان بمميزات عدة جعلتها أنموذجاً متكاملًا يستطيع الإمساك بزمام الحكم والإدارة، ولعل ذلك ينبثق من وحدة الفكرة عند أعضاء الحركة والإخلاص لها، مع الولاء للقادة، والسمع والطاعة لمجلس شوري الحركة، مع بقائهم متمسكين ببساطة العيش وتواضع الحياة، ما يجعلهم خارج دائرة العولمة الأمريكية، فالمجتمع البسيط لا يعتبر مستهلكاً للمنتجات الغربية، ولا تعتبر أرضه سوقاً لتجارته الحرة.

المطلب الأول: الجذور الفكرية لطالبان

التركيبة السنية الأفغانية بمجملها تنطلق من المنطلقات الثلاثة، أولاً أتباع مذهب فقهي، وهم في الغالب أحناف التفقه، ثانياً أتباع مذهب عقدي، وهم يتبعون المذهب الماتريدي في مسائل العقائد، أما من ناحية التركيبة والسلوك فأغلبهم يرتبط بالرابطة المشيخية النقشبندية.

وصف جمال الدين الأفغاني شعبه بأن لديهم تعصباً شديداً للدين والمذهب، كما أن مولوي حفيظ الله وصفهم بأنهم شعبٌ متدينٌ بطبعه، كذلك قال أمير البيان شكيب أرسلان واصفاً إياهم بروح الإسلام، وبأنه لو لم يبق للإسلام في الدنيا عرق ينبض به، لرأيت الأفغان هم عرقه النابض بين جبال الهملايا والهندكوش، وعزمه هناك ناهضاً.

أولاً: التعليم الأفغاني الديني:

ينقسم "التعليم الأفغاني إلى تعليم خارجي وآخر داخلي، أما الخارجي فيخص العلماء الأفغان ممن درسوا في بخارى قبل الثورة الشيوعية في أكتوبر (تشرين الأول) 1917م، وغالبية المشايخ والعلماء خميرة الإسلاميين الأفغان لاحقاً؛ فقد درّست غالبيتهم في مدرسة ديوبند بالهند قبل انفصال باكستان عنها عام 1947م، إذ غدت الأخيرة بعد هذا التاريخ بديلاً عن الهند، وتكأة تعتمد عليها أفغانستان بتعليمها الديني، ولاحقاً انتقلت وجهة علماء الأفغان التواقين للدراسة في الخارج إلى جامعة الأزهر، والجامعة الإسلامية السعودية، أما القسم الثاني فهو القسم الديني الداخلي الأفغاني، وينقسم إلى قسمين تعليم ديني حكومي، وآخر غير حكومي يتمثل في الكتاتيب والمدارس الدينية"²⁴.

تعتبر الهند من أكثر الدول تأثيراً بالتعليم الأفغاني، وتحديدًا تأثير مدرسة ديوبند المعروفة بـ(دار العلوم) بتعليم الرعيل الأول من مؤسسي حركة طالبان أفغانستان؛ إذ تعتبر هذه المدرسة معادية للاستعمار البريطاني وقتها، ويعتبر التمسك بالدين، والتمذهب بالمذهب الحنفي من أهم ما يميز هذه المدرسة، فهي قلعة علمية تدافع عن السنة النبوية، وتحافظ على أصول العلوم.

<https://www.interregional.com/%D8%A7%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%AC-%D9%85%D8%B1%D9%86>

²⁴ زيدان، صيف أفغانستان الطويل من الجهاد إلى الإمارة، ص13.

و"المدارس الدينية هي المحاضن التي تربي فيها أفراد حركة طالبان، وتنتشر المدارس الدينية في مختلف مناطق أفغانستان وباكستان لشتى الاتجاهات الفكرية، فهناك مدارس الشيعة، ومدارس البريلوية (فرقة منحرفة في بعض عقائدها ومليئة بالبدع العملية)، ومدارس السلفية (وهي قليلة جداً)، ومدارس الديوبندية"²⁵.

والرعيّل الأول من طالبان أفغانستان حصّل تعليمه الشرعي من طريق المدرسة الهندية ديوبند (دار العلوم)، فيما تحولت وجهة الرعيّل الثاني لباكستان بعد انفصالها عن الهند، وبالذات بالقرب من مدينة بيشاور، في المدرسة الحقانية (أكوره ختك)، إذ أصبحت هذه المدرسة الملاذّ المهم للتحصيل العلمي، لأبرز من قارع الاحتلال، وترأس فيما بعد مناصباً في الإمارة الجديدة. وأبرز من درس في هذه المدرسة القائد جلال الدين حقاني، وأولاده من بعده.

ولعل الفعالية السنوية المسماة بفعالية (ربط العمامة) إشعاراً بجهوزية الطالب لينطلق إلى المجتمع معلماً وداعياً، من أهم الأمور الدالة على اتصال هذه المدرسة بجذور المدرسة السنية الحنفية المؤكدة على أهمية العمامة، وسنيتها من طريق اتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

يتدرج الطالب خلال تحصيله العلمي في هذه المدارس ضمن أربع مراحل، تبدأ بالمرحلة الابتدائية، ثم ينتقل الطالب للمرحلة المتوسطة، فالعليا والتكميلية، بعدها يتفرغ الطالب عامّاً كاملاً لدراسة علم الحديث النبوي الشريف، والمرور على كتب الحديث المعروفة.

وكل من ينتسب لهذه المدارس يطلق عليه (طالب)، والجمع في لغة البشتو (طالبان)، وهذا اللفظ يطلق على كل من يدخل المدرسة، ويبدأ التحصيل العلمي سواء كان صغيراً أو كبيراً.

والمتخرج من هذه المدارس قبل درجة التخرج يطلق عليه ملا (آخوند)، ويلبس حينها العمامة السوداء، أما من أكمل دورة الحديث، ونال درجة التخرج يطلق عليه (مولوي)، ويلبس حينها العمامة البيضاء، وتسمى بلغة البشتو (دستار فضيلت) أي عمامة الفضيلة، ويجاز لابساها بإجازة التدريس. فالعمامة جزءٌ لازمٌ من الزي التقليدي لهذه المدرسة، ولا سيّما في أفغانستان.

وقد وضع الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهالوي (ت: 1161هـ) منهج هذه المدرسة، المسمى بمنهج الدرس النظامي، والذي ينقسم إلى قسمين:

- 1- العلوم الآلية: أي العلوم المساعدة على فهم العلوم الشرعية، مثل: علم النحو والصرف والأدب العربي والبلاغة، والأدب الفارسي، والمنطق والفلسفة والفلكيات القديمة، والرياضيات والهندسة وغيرها.
- 2- العلوم الأساسية: وهذه العلوم تندرج ضمن أمّات العلوم الشرعية، مثل: علوم القرآن والتفسير، والسنة وعلومها، والفقه وأصوله، والعقائد وعلم الكلام، والفرائض والتجويد وغيرها.

تنتهج هذه المدارس النهج التقليدي في كل شيء، ويفرضون أي شكل من أشكال التطوير في المنهج الدراسي، ولو كان هنالك بعضٌ من هذه المفردات قد تغيرت أغلب قواعدها وأصولها، كما أن مسؤولي هذه المدرسة لا يقبلون أي تغييرٍ في طرق التدريس، ولا يحبذون الدراسة في الفصول؛ لذلك عارض أغلب أتباعها الحركة الإسلامية المعاصرة.

²⁵ حقاني، طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين، ص 58.

ولعلّ انزوائهم عن الحياة العملية مكّن أتباعها من الغوص في العلوم الشرعية، مع الابتعاد عن لوثة المدنية الغربية التي خالطت أغلب مناهج المدارس الإسلامية المعاصرة، ولكن الخلل في مناهجهم ظهر بسبب عدم اتصالهم بالعلوم العصرية، فالمدرس والطالب في هذه المدارس لا يعنيه فهم قواعد السياسة والاقتصاد، وليس له علاقة بالحياة العملية في المجتمع.

ثانياً: المدارس التي درس فيها الطالبان:

أفراد حركة طالبان تتنوع مشاربهم من حيث المدارس التي تلقوا العلم فيها، بينما تتحد أفكارهم من ناحية أنّ لهذه المدارس مناهج متقاربة منسجمة مع التعليم الديني التقليدي في كل من أفغانستان وباكستان، وتنتشر هذه المدارس في "شّتى مناطق باكستان وأفغانستان، وفيما يلي نذكر بعضاً منها:

- 1- **دار العلوم حقانية:** تعتبر من أشهر وأقدم المدارس في إقليم سرحد الباكستاني وأفغانستان حيث تأسست في 1946م، وقد اكتسبت شهرتها من شهرة مؤسسها الشيخ عبد الحق، العالم البارز المتقن الذي بقي فترة طويلة يُدرس العلوم المختلفة، والحديث النبوي الشريف في دار العلوم (ديوبند)، وكانت مدرسته مأوى طلاب العلم في المنطقة، كما كان له نشاط سياسي أيضاً، وانتخب عضواً في البرلمان الباكستاني أكثر من مرة... خلفه ابنه سميع الحق، ويعتبر المولوي سميع الحق (أبو طالبان) من أكبر مؤيدي حركة طالبان بين القيادات السياسية في باكستان، وله تأثير كبير عليها؛ لأن عدداً كبيراً من قيادات الحركة تخرج في هذه المدرسة. وقد قتل الملا سميع الحق في منزله الواقع في أطراف العاصمة الباكستانية إسلام آباد يوم الجمعة 2018/22/02م.
- 2- **دار العلوم:** وتقع هذه المدرسة في مدينة كراتشي، وكان قد أسسها الشيخ محمد شفيع المفتي الأعظم لباكستان، والعالم الشهير صاحب التصانيف الكثيرة في 1952/06/16م، وخلفه فيها ولداه الشيخ محمد تقي العثماني، والشيخ محمد رفيع العثماني (ت: 2021/11/18م)، اللذان يعتبران من كبار العلماء في باكستان، وقد درست بعض قيادات طالبان في هذه المدرسة.



(زيارة الشيخ محمد تقي العثماني لجامع السلطان سليم الأول في منطقة الفاتح بمدينة إسطنبول)

- 3- **الجامعة الإسلامية بنوري تاون:** أسسها في كراتشي الشيخ محمد يوسف البنوري صاحب (معارف السنن شرح جامع الترمذي)، وقد "نشأ الشيخ في بيشاور وكابل عاصمة أفغانستان، حيث كانت جدته من أسرة ملكية، ثم هاجر إلى باكستان بدعوة من كبار العلماء هناك، وانتُخب لمنصب شيخ التفسير، وقاوم فتنة إنكار حجّة السنة حتى أحمدها، وفتنة الإلحاد في الدين التي قادها الدكتور فضل الرحمن، كما طالب البنوري الحكومة الباكستانية أن تعتبر القاديانية أقلية غير مسلمة؛ فاستجابت الحكومة للمطلب"²⁶. وقد تخرج في مدرسته عدد من أفراد طالبان.
- 4- **الجامعة الفاروقية:** أسسها في كراتشي الشيخ سليم الله خان (ت: 2017م)، الأمين العام لوفد المدارس الإسلامية، وقد درس فيها عدد كبير من قيادات حركة طالبان، وكان لأحد المدرسين السابقين فيها وهو الشيخ المفتي الدكتور نظام الدين شامزي تأثير كبير على حركة طالبان.
- 5- **منبع العلوم:** هي من المدارس الهامة التي لها دور كبير في توفير القيادات والأفراد لحركة طالبان، أسسها الشيخ جلال الدين حقاني في ميران شاه بإقليم سرحد بباكستان.
- 6- **مدرسة مطلع العلوم:** أسسها في كويتا - عاصمة إقليم بلوشستان - الشيخ عوض محمد في 1944م، وهي من المدارس المعروفة في بلوشستان، وتخرج فيها عدد كبير من الأفغان²⁷. وغيرها من المدارس كالجامعة الأشرفية في لاهور، والمدارس الأفغانية في بيشاور وكويتا، والتي تخرج فيها عدد كبير من أفراد حركة طالبان

ثالثاً: قندهار المدينة المحافظة على التقاليد:

تعتبر قندهار العاصمة الروحية لحركة طالبان أفغانستان، فمنها خرج كافة أمراء الحركة، ويشتهر أبناء هذه المدينة بمحافظتهم على التقاليد، فهم عصيون على أدوات الحداثة الغربية، فحافظوا على أفكارهم الأصيلة، وتمسكوا بلغتهم وثقافتهم، وهذا ما تجلّى في محافظتهم على العمامة واللباس التقليدي في المحافل المحلية والدولية، وتوثيق الروابط مع العلماء والمشايخ أكثر من الأحزاب الجديدة، حتى من ناحية الأواصر القبلية فهم محافظون على روابط قبلية متينة وقوية. وقد انعكست هذه الصفات بشكل مباشر على أداء الحركة.

كما أن الشخصية القندهارية تتميز بصفات أهمها تحمل المشاق والصعوبات، مع صلابة وقوة اكتسبتها من خشونة العيش وجغرافيا المكان، فهم لا يأخذون بجانب الترف والرفاهية، بل يفضلون التقشف ويقنعون باليسير من اللذات، كما أنهم يحافظون على التراث والتقاليد.

المطلب الثاني: طالبان الأهداف والمنطلقات العقديّة الفكرية

عندما انطلقت حركة طالبان أفغانستان من معقلها الأول (قندهار) كان الهدف المعلن هو: استعادة الأمن والاستقرار لأفغانستان، وجمع السلاح المشتت بين الفصائل المتناحرة فيما بينها، والقضاء على الفساد المستشري، ولا سيما القضاء على نقاط جمع الإتاوات المرتبطة بالفصائل المسلحة، والمتمركزة على أطراف الطرق العامة، والتي تسببت على مدار سنوات في سلب ونهب أموال الناس البسطاء، والتعدي على أعراضهم، ولم يكن في تصور الحركة حينها أنهم سيسيطرون على الحكم في أفغانستان.

²⁶ موقع شبكة المدارس الإسلامية، مقال بعنوان: الشيخ محمد يوسف البنوري.

<https://www.madarisweb.com/ar/articles/333>

²⁷ حقاني، طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين، ص 65.

ولعلّ أصدق ما يوضح الظروف الداخلية، والعوامل الدافعة لولادة حركة طالبان الأفغانية، ما جاء على لسان الملا محمد عمر، في تسجيل صوتي بثته إذاعة (صوت الشريعة) في قندهار، وفيه قال ما نصه:

ولكن عندما صدقت الحركة في تحقيق هدفها المعلن، واستطاعت بالفعل إعادة الأمن والأمان للمناطق التي سيطرت عليها، التف الشعب حول هذه الحركة الإصلاحية، ليصل أفراد الحركة لمشارف العاصمة كابول، حينها تطورت أهداف الحركة ليصرح بها الملا محمد عمر قائلاً: (إننا نريد تطبيق دين الله في أرضه، ونريد خدمة كلمة الله، ونريد تنفيذ الأحكام الشرعية، وحدود الله)، أما عن الأهداف التفصيلية فقد أعلنتها الحركة فيما بعد ضمن 19 هدفاً.

أولاً: الأهداف الأولية لحركة طالبان

- 1- إقامة الحكومة الإسلامية على نهج الخلافة الراشدة.
- 2- أن يكون الإسلام دين الشعب والحكومة جميعاً.
- 3- أن يكون قانون الدولة مستمداً من الشريعة الإسلامية.
- 4- اختيار العلماء والملتزمين بالإسلام للمناصب الهامة في الحكومة.
- 5- قلع جذور التعصبات القومية والقبلية.
- 6- حفظ أهل الذمة والمستأمنين وصيانة أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ورعاية حقوقهم المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية.
- 7- توثيق العلاقات مع جميع الدول والمنظمات الإسلامية.
- 8- تحسين العلاقات السياسية مع جميع الدول الإسلامية وفق القواعد الشرعية.
- 9- التركيز على الحجاب الشرعي للمرأة، وإلزامها به في جميع المجالات.
- 10- تعيين هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أنحاء الدولة.
- 11- قمع الجرائم الأخلاقية، ومكافحة المخدرات، والصور والأفلام المحرمة.
- 12- استقلال المحاكم الشرعية، وفوقيتها على جميع الإدارات الحكومية.
- 13- إعداد جيش مدرب لحفظ الدولة الإسلامية من الاعتداءات الخارجية.
- 14- اختيار منهج إسلامي شامل لجميع المدارس والجامعات، وتدريب العلوم العصرية.
- 15- التحاكم في جميع القضايا السياسية والدولية إلى الكتاب والسنة.
- 16- تعيين العلماء الأتقياء الأكفاء بالمحاكم الشرعية.
- 17- أسلمة اقتصاد الدولة، والاهتمام بالتنمية في جميع المجالات.
- 18- طلب المساعدات من الدول الإسلامية لإعمار أفغانستان.
- 19- جمع الزكاة والعشر وغيرهما، وصرفها في المشاريع الإسلامية، والمرافق العامة²⁸.

ثانياً: العقيدة والمذهب الفقهي:

حركة طالبان لم تفصح بشكل رسمي عن عقيدتها وأفكارها، ولعلّ ذلك لأن الحركة تسعى أن تكون حاضنةً لأوسع دائرة من دوائر المجتمع الأفغاني، ولكن من خلال تصريحات قيادات الحركة، وما يكتب أفرادها في الصحف

²⁸ ينظر: حقاني، طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين، ص108.

والمجلات، ومما يصدر عنهم في المقابلات الصحفية، يمكننا أن نستنبط عقيدة الحركة ومذهبها الفقهي، ونظام الحكم والشورى، وغيرها من الأمور المحددة لهوية هذه الحركة.

فهم في العقيدة يتبعون مشايخهم الذين تلقوا عنهم العلوم الشرعية، وهم ينتسبون لمذهب الإمام أبي منصور الماتريدي، أما بالنسبة للمذهب الفقهي فالمذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة، وله تتحاكم الحركة في المحاكم الشرعية.

وقد أوقفت الحركة في بداية حكمها البث التلفزيوني؛ لاختلاف الفتوى فيه، كما أنهم أخذوا بحكم تحريم الموسيقى، وعدم جواز خروج المرأة من بيتها إلا للضرورة الملحة، فالمرأة معززة مكرمة وحقوقها مصانة ومحفوظة، والإسلام حفاظاً على كرامتها رسم لها حدوداً معينة، فالمرأة مربية ومُدرسة، وهذه بحد ذاتها مسؤولية كبيرة ووظيفة سامية، بعكس ما كان من المدنية الغربية في دفع المرأة إلى وسط غابة من الوحوش، تترك المرأة بيتها من قبل طلوع الشمس، إلى ما بعد الغروب، لتزاحم المرأة الرجلَ الأجنبي في وسائل المواصلات، ومكاتب الأعمال.

أما موقف الحركة من (الوهابية) السلفيين فلا يخفي أفرادها عداوتهم تجاههم؛ لأنهم يعتبرونها جماعة منحرفة معادية للمذاهب، مكفرة للمسلمين، وقد كتب أحد أبناء الحركة ممن درس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مقالةً في مجلة (الطالب) قال فيها، واصفاً ما يقول وهابية السعودية بحق طالبان: "وقيل إنها _أي حركة طالبان_ حركة قبورية، وأصحابها منحرفون عن عقيدة السلف (أهل السنة)، ومبتدعون في الأمور الدينية، وقائل هذه الأسطورة بعض من يسمون أنفسهم سلفيين، وليس فيهم أدنى ذرة من آثار السلف"²⁹.

ولكن هذا لا يعني أنَّ الحركة بأكملها صوفية طرقية، لأنَّ طالبان تحاول أن تجمع تحت عباءتها أغلب أطياف المجتمع الأفغاني من أتباع السنة، لذلك لم تعاد خلال مسيرتها أيّاً من المذاهب والتيارات المخالفة لمذهبها الحنفي، وعقيدتها الماتريديّة، فهي اليوم بعد فتح كابول الثاني تدير دولة مترامية الأطراف، فيها تنوع عرقي وطائفي.

ثالثاً: تباين الوجهة الجهادية بين طالبان والقاعدة:

يستند فكر القاعدة لنظرية الجهاد الإسلامي العالمي، والتي تقوم على أن قوة الإسلام العالمي يجب أن تتمركز في أرض إسلامية واحدة، وهذه الأرض يمكن أن تكون (أفغانستان)، ولكن بعد أن تتحرر ممن يحكمها، وتحكم من جديد بمبادئ الشريعة الإسلامية، ومن ثم الانتقال من هذه الدولة المركزية لتحرير باقي الدول الإسلامية، وربطها فيما بينها بنظام حكم موحد، من دون حدود تفصلها عن بعضها، وتخضع كلها لحكم الخلافة الإسلامية.

أما حركة طالبان أفغانستان فلم تعلن في يوم من الأيام عن تبنيها لهذه النظرية، ولم تعمل لتنفيذ هذا المخطط، بل على العكس من ذلك فقد أكدت طالبان على أن نشاطها يبقى ضمن حدود أفغانستان، وهدفها تحرير بلادهم من الاحتلال الأجنبي، وإقامة الإمارة الإسلامية، الحاكمة وفق الشريعة الإسلامية.

أسست السلفية الجهادية الأساس الفكري لتنظيم القاعدة، كما وانطلق التنظيم الجهادي (القاعدة) من مذهب إيجاب قتال غير المسلمين عامة، وغزو العالم لنشر الدعوة. ومن أشهر قادة التنظيم أسامة بن لادن

²⁹ حقاني، طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين، ص 138.

(المؤسس)، ثم أيمن الظواهري (الخليفة)، وقد كان الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، ويعتبر العقل المدبر للتنظيم.

الخلاصة:

قدمت خلال هذه الدراسة عرضاً موجزاً عن أهم المراحل التي عايشتها حركة طالبان، بدءاً من مشاركة مؤسسيها في مواجهة الغزو السوفييتي، ثم إعلان ولادة الحركة للحد من تفشي الحرب الأهلية الداخلية، انتهاءً بطرد التحالف الدولي من أراضيها، وإعلان الإمارة الإسلامية.

وقد مرت حركة طالبان أفغانستان خلال السنوات الماضية بانعطافات قاسية كان أصعبها تبنيها لموقف حماية المجاهدين الوافدين إلى أراضيها، وبالأخص رفضهم طلب تسليم (أسامة بن لادن) لضلوعه بأحداث 11 أيلول.

وخلال مسيرة الحركة منذ التأسيس إلى الإمارة تداول الناس معلومات متعارضة أبقت الشخصية الطالبانية محلّ ريب واستهجان من قبل الشرق والغرب، فالحركة إلى اليوم لا تملك من وسائل الإعلام ما يمكنها من إيصال رسالتها للعالم أجمع، بل على العكس من ذلك كانت الحركة في بدايتها - من أشد المعارضين للتلفزة والإعلام المرئي.

لذلك سأوجز الخلاصة في هذه النقاط:

- 1- الحركة الإسلامية لطلبة المدارس الدينية (طالبان) في أفغانستان عبارة عن حركة إسلامية سنية، تتبنى مبادئ العقيدة الماتريدية، وتحتكم إلى المذهب الحنفي، تأسست بدايةً بزعامة الملا محمد عمر، وتشكلت من رواد المدارس الدينية الأفغان، وكان الهدف من تأسيسها في البداية إيقاف الحرب الأهلية، والتصدي للفساد المستشري حينها، بعدها تطور الأمر مع وصولها لسدة الحكم، وإحكام قبضتها على العاصمة كابول، ليصبح هدفها إيصال علماء الدين لسدة الحكم، لإقامة الإمارة الإسلامية وفق الشريعة.
- 2- بين حركة طالبان أفغانستان، وتنظيم القاعدة علاقة مصالح متبادلة، ولكنهما لا يتفقان بالمسائل الدينية من ناحية العقيدة والفقه، ولا يجتمعان تحت نفس الهدف الجهادي، فطالبان هدفها محدود بحدود أفغانستان، وجهادها يتوقف عندما يخرج آخر جندي أجنبي، لتنقل سلاحها من أيدي المجاهدين، إلى أيدي الجيش الوطني تحت راية الإمارة الإسلامية، فهي في نسختها الجديدة حركة إسلامية محلية، ليس لها علاقة بالحركة الجهادية العالمية، أما تنظيم القاعدة فهو تيار جهادي، هدفه عالمي، غير محدود بحدود دولة بعينها، انطلق من أفغانستان؛ لتصدير المجموعات الجهادية للعالم، وضرب المصالح الاقتصادية للعدو المحتل.
- 3- يوجد فرق واضح بين آليات حكم طالبان لكابول سنة 1996م، وحكمها سنة 2022م، ولا سيّما فيما يتعلق بالعلاقات مع المجتمع الدولي، والتعامل مع قضايا المجتمع، والسعي الجاد لبناء أسس الدولة الحديثة. وقد جعلت الحركة الشريعة الإسلامية الركيزة الأساسية التي تنطلق منها في رؤيتها السياسية، والمجتمعية، والاقتصادية، ولا تسعى إلى الصدام مع المجتمع الدولي، بل على العكس من ذلك تبحث عن شركاء دوليين؛ لاستثمار الثروات المحلية، وتدوير هذه الأرباح لتنمية أفغانستان.
- 4- العقل الطالباني المؤسس لحركة طالبان مزيج من ثلاثة مكونات، ألا وهي: الجانب التعليمي الشرعي (المدرسي)، المتأثر بمناهج المدرسة الديوبندية، ثم البُعد القبلي المكون للمجتمع الأفغاني، والذي

يوجب على أبنائه مناصرة المظلوم، ومقارعة المحتل الغازي، ثم البعد الدولي المتقارب والمتماهي مع الجارة باكستان، والقريب من المجتمعات العربية والتركية، وغيرها من المجتمعات الإسلامية.

5- التحدي اليوم يتمثل في أمرين: الأول إمكانية النهضة بهذه البلاد بعد كل هذه الحروب والمعارك، والثاني_وهو التحدي الأهم_ الذي يواجه حركة طالبان أفغانستان اليوم، ألا وهو إمكانية عزوفها عن الانزلاق للحرب الطائفية الداخلية، ولا سيما أنَّ الشيعة أصبح لهم نفوذ، ومكانة أعظم بكثير مما كانوا عليه سابقاً، وذلك بسبب ما اكتسبوه من خلال المعارك التي خاضوها ضمن فيلق فاطميون الأفغاني الشيعي على الأراضي السورية دعماً للمليشيات الإيرانية.